wadod.org

عدد خاص

الذخائر

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

بمناسبة مرور ١٤ قرناً على تأسيس مدينة الكوفة - الأصدار الأول

في هذا العدد:

- مدينة الكوفة منذ تأسيسها حتى نهاية العهد الأموي: ..... د. أزهر أحمد العاني
- الكوفة الغراء، أرض الرسالات السماوية وعاصمة الخلافة الاسلامية: ..... أ.د. محمد حسين علي الصغير
- الكوفة ، رحلة في تأريخية الاسم: ..... أ. معن حمدان علي
- الحركة الفكرية في الكوفة في العهود الإسلامية الأولى: ..... د. هادي حسين حمود
- موقف البصريين من ا لكسائي الكوفي: ..... أ.د. رشيد عبد الرحمن العبيدي
- استقرار قبيلة همدان في الكوفة حتى نهاية العصر الأموي: ..... أ.د. محمد كريم ابراهيم الشمري
- القصيدة المنفرجة، لابن النحوي التوزري(٤٣٣-٥١٣ هـ) ..... تقديم وتحقيق : د. زهير غازي زاهد
- منطقة القادسية ، دراسة تاريخية جغرافية، استكشاف أثري جديد: ..... أ . كامل سلمان الجبوري
- مؤرخ الكوفة ، البراقي: ..... أ. معن حمدان علي
- فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الحسينية . القسم السابع : ..... أ. سلمان هادي طعمة آل طعمة
- قبر بهاء الدين الإربلي: ..... أ. معن حمدان علي
- نسب الاسرة الحيدرية وتحقيق السلسلة الحيدرية: ..... أ. محمد علي القره داغي

إصدارات ..... إعداد : أ. حسن عريبي الخالدي

الذخائر

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

٨

العدد الثامن السنة الثانية - خريف ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

صاحب الامتياز ورئيس تحريرها

كامل سلمان الجبوري

wadod.org

wadod.org

استكشاف أثري جديد... ينشر لأول مرة

منطقة القادسية

دراسة تأريخية جغرافية مستندة إلى المصادر التأريخية والأدبية والمسح الميداني

كامل سلمان الجبوري

المقدمة

كنت ولا أزال مشغولاً ومهتماً بما كتب عن تاريخ الكوفة في مختلف عصورها حتى وقتنا الحاضر، وهي من أهم المدن الإسلامية التي مُصّرت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وقد ازدهرت على مرّ الزمن بما حفلت به من استيطان القبائل العربية العدنانية منها والقحطانية، بمختلف فروعها وبطونها ثم أصبحت مركزاً هاماً بين الشرق والغرب، فازدهرت بها مختلف أنواع التجارة والصناعة، ونبغ فيها الكثير من فحول الأدباء والشعراء والعلماء والقادة، فكانت مفخرة من مفاخر التأريخ العربي والإسلامي على مرّ العصور ومختلف الأزمنة.

وفي الكوفة شرّعت أهم الشرائع الاجتماعية والمذاهب الفلسفية ومبادىء علوم اللغة العربية وآدابها، وفيها دوّنت علوم الفلسفة والتأريخ وأخبار العرب والأمم الأخرى، واكتشفت خاصية الفلزات والمعادلات الرياضية والكيماوية، ومنها خرجت رايات الفتح إلى مختلف الأقطار في المشرق والمغرب، فلا عجب أن تكون من أمهات المدن التاريخية الهامة، التي لابدّ للباحث من دراسة خططها وآثارها ومؤلفات علمائها وأدبائها، وكنت ولا أزال مولعاً في تتبع أخبارها والإطلاع على ما كتب عنها في مختلف المصادر والمؤلفات، وقد تجمعت لديَّ مجموعة كبيرة دوّنت فيها أهم ما اطلعت عليه في شواردها وأوابدها، وبحمده تعالىٰ أمكنني أن أوفق لكتابة تأريخها القديم والحديث، وقد أنجزت طباعة ثلاثة مجلدات عن تاريخها الحديث طبعت في عام ١٩٧٤.

ولما كان البحث في تراث الكوفة العلمي والحضاري مما يتطلب وقتاً كبيرا وجهداً لا يتسنىٰ القيام به كاملاً وذلك حسب الظروف ومتطلبات الحياة. وحيث أن

wadod.org

اهتمامي اقتصر في الوقت الحاضر على تاريخ ثورة العشرين وما حوته من بطولات رجالها وأخبار معاركها وما تضمنته من آثار أدبية وعلمية ومصوّرات للمواقع والمشاركين فيها، كل ذلك جعلني أن أُشغل ولو إلىٰ حين عما نذرت نفسي له من استيعاب تأريخ الكوفة في جميع أدوارها.

ولما كانت منطقة القادسية (وهي ميدان معركة القادسية ١٦هـ/ ٦٣٧م) من ملحقات الكوفة الكبرى عند تمصيرها، وما تزال من ضمن حدود محافظة النجف حالياً، رأيت أن الحاجة إلى المعرفة تفرض أن أعود إلى ما تبعثر من أوراقي التي دوّنت فيها الشيء الكثير عن طوبوغرافية الكوفة وملحقاتها، خصوصاً بعد أن كثر التساؤل:

هل أن معركة القادسية ضمن حدود محافظة القادسية باعتبار تسمية المحافظة بها ؟

أو أنها على أرض ناحية القادسية التابعة لقضاء المناذرة ؟ وقد جرى على هذا الوهم بعض الكتّاب والأدباء.

وهل أن القادسية معروفة بموقعها في الوقت الحاضر ؟

وإذا كانت معروفة فأين تقع وفي ضمن أي حدود وما هي حدوها وبقرب أيٍ من المناطق ؟

وهل أن قصر قُديس موجود كما ذكره المؤرخون، وأين موقعه الحالي ؟

وهل أن خندق القادسية موجود يمكننا التعرّف عليه وتحديد موقعه ؟

وأين دُفن شهداء القادسية وهل لهم قبور معروفة بهم ويمكن التعرّف عليها كما ذكر المؤرخون بعد أن تُركت سرية في اليوم الرابع لدفنهم ؟

إلى غير ذلك من تساؤلات واستفهامات كثيرة تتردد على أقلام الكتّاب وأفواه الناس.

ولأن الحقيقة المؤيدة بكافّة الأدلّة تثبت خلاف ما ذهب إليه الكثير ممن أشرنا لهم سابقاً، وأن قادسية سعد لا تزال تتميّز بموقع يحتفظ بكافة السمات العسكرية والجغرافية، ولا تزال تتمتع بالأدلّة الكثيرة على موقعها الحقيقي ضمن حدود محافظة النجف الأشرف، ورغبة مني في المساهمة الفعلية لإثبات حقيقة الموقع بدراسة تاريخية جغرافية ميدانية مفصّلة، وبعد أن انتهيت من تصفح عشرات الكتب التأريخية المتيسّرة بمختلف اللغات والرجوع إلى ما كتبته عن القادسية سابقاً في موسوعة تاريخ الكوفة،

wadod.org

قمت بعدة جولات كنت خلالها أستعرض صفحات التاريخ العربي المُشرق، وقد عُشت بين سكان تلك المناطق والبقاع بعضاً من الوقت، وقست المسافات بين الأكمات التي أضنها آثاراً قديمة لقصور ومسالح ومراكز حضارية أخرى، لعل الآثاريين يكشفون عنها في يوم ما، فَتُبيَّن معالمها وتعرف أغراضها، وعندي أن هذه المناطق الشاسعة كانت مأهولة بالسكان العرب، وقد ورد ذكرها في الكثير من معجمات اللغة وكتب الأدب ودواوين الشعراء حيث كانت هذه الأراضي الواسعة الممتدة على مدّ البصر إحدى المتنزهات وملاعب الصيد وتواجد ذوي الظرافة والأدب والخلفاء والوزراء بالإضافة إلى كونها ملتقى الطرق ومرور السابلة، ونقطة الالتقاء بين الشرق والغرب منذ القديم، وقد دلّتني التجارب أثناء قيامي بالمسح الميداني الشامل على أن هناك الكثير من الشواهد التأريخية والمعالم الحضارية كانت تزخر بها هذه البقاع، وأن الأديرة النصرانية المعروفة حالياً ليست ببعيدة عنها، وأن الآبار والعيون والمصانع وخنادق المياه ومسيلاتها كلها لا يزال الكثير منها ظاهراً للعيان، ويستفاد من معظمها حالياً، وإذا ما علمنا أن القبائل العربية التي استوطنتها منذ القديم كانت على صلة وثيقة بين حضارات تلك الأزمنة، حيث استفادت منها وأفادتها بما للعرب من فنون وآداب ومعرفة، أدركنا أن هذه المنطقة ليست أرضاً يجوبها العرب طلباً للكلأ والعشب فحسب، إنما هي جزء متمّم من حضارة إنسانية عربية عريقة تمتد جذورها وتتجمع أفنانها من اليمن أرض العرب الأولى إلى بلاد الشام شمالاً حيث حضارة الغساسنة، ومن الحجاز غرباً إلى حضارة المناذرة، فكانت الوفود والسفراء بين قبائل الجزيرة العربية يرتادونها للمشورة والقضاء بين قبائلها. وللشعراء الجاهليين والإسلاميين والرحالة العرب وغيرهم وصفٌ لمواقعها ولأهم ما تتميّز به من مرابع ومراتع ومياه وافرة وظلال وارفة وطيور وحيوانات جاء ذكرها في الكثير من أراجيزهم وقصائدهم وأخبارهم التي تضمنتها بطون الكتب وأمهات المراجع.

وبعد أن تجمعت لديّ بحوث وأدلّة كثيرة تجيب عن الكثير من التساؤلات وتجلي الغموض عما أهمله التاريخ عن طبيعة أرض القادسية ومعالمها وبدايات المعركة وأسبابها المباشرة وغير المباشرة، وتعبئة الجيوش من كلا الجانبين، ومسيرتها والشخصيات الإسلامية التي كان لها الأثر العميق في نشر الإسلام بدءاً من الإستيلاء على المدائن، ومن ثم الانطلاق إلى تحرير البلاد المتاخمة إلى العراق حتى بلاد ما وراء النهر فيما بعد، ودخول الأمم والشعوب الأخرى في الدين الإسلامي الحنيف

wadod.org

واعتناقهم للمبادىء السمحاء والتأثير الفاعل في عاداتهم وأخلاقهم وما توارثوه من آراء ومعتقدات، وصيرورتهم لبنات في بناء كيان السيادة الإسلامية التي امتدّت من الأندلس حتى الصين، والتي بلغت أوجها في عصور ذهبية زاهية ازدهرت فيها مختلف العلوم والآداب والفنون والحضارة والعمران، فكانت ولا تزال مفخرة من مفاخر الإنسانية على مرّ العصور والأجيال.

وقد رتبت الدراسة وبوّبتها حسب الأهمية التأريخية والأدلّة التي أمكنني جمعها فقد عززت كل ذلك بالخرائط والمصورات التي رأيت من الواجب إلحاقها بها إتماماً للفائدة وإعماماً للنفع، فجاءت مشتملة على فصلين:

الفصل الأول: وقد قسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: ويشتمل على الأسباب المباشرة والغير مباشرة للمعركة، والمشاورات التي سبقتها، وتعبئة الجيوش العربية، وتوزيع القيادات، ومسيرة الجند من المدينة حتى موضع القادسية، وما تخلل ذلك من خطب ومراسلات، والوفود المرسلة إلى كسرى، والاستعدادات الضخمة للحرب والقتال، بعد فشل المفاوضات بالنسبة للجيوش العربية.

كما أن كسرى أوعز لقائده رستم لقيادة الجيوش الفارسية وتعبئتها، وتوزيع المجنبات، وتسييرها من المدائن إلى موضع القادسية.

المبحث الثاني: ويشتمل على بدء القتال واحتدامه في الأيام الأربعة، والتي عُرفت بيوم أرماث، وأغواث، وعماس، وليلة الهرير، ومن ثم يوم القادسية، ودفن الشهداء.

الفصل الثاني: منطقة القادسية ومقترباتها: الاسكتشاف الأثري من خلال المصادر التأريخية والأدبية وغيرها:

ويشتمل على المواقع التأريخية للمعركة، وهو دراسة مفصّلة استنتاجية عن طبيعة الحرب، والمناطق التي دارت عليها رحى القتال، ومراكز تجمع الجيوش من كلا الجانبين، وقد أمكنني الوقوف عليها وتعيينها والتثبت من مواقعها بواسطة الأدلّة المتاحة لي والمراجع التأريخية المتعددة، والجولات الميدانية المتكررة، والروايات المتناقلة بين سكان تلك المناطق، وتجسيدها على الواقع الميداني، ورسم خرائطها، وتصويرها فوتوغرافياً.

wadod.org

وقد قسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: ميدان القادسية.

المبحث الثاني: شرق القادسية.

وختاماً لهذا الجهد المتواضع الذي وفقني تعالىٰ للقيام به وتقديمه للمكتبة العربية والقارىء الكريم لا يسعني إلاّ أن أتقدم بوافر الشكر والثناء لكافة الأخوة الذين تعاونوا معي سواء منهم سكان تلك المناطق أو الأدلاّء الذين بواسطتهم أمكنني الوصول إلى المواضع المتناثرة في بادية النجف، والتي أمكن بواسطتها التعرّف على الميدان العسكري لمعركة القادسية، والتأكد من صحّة أسمائها مستفيداً من الروايات المتداولة بين السكان الرّحل منهم والمستوطنين، حيث أمكن ربط الأدلّة التأريخية المتوفّرة في الكثير من المراجع مع هذه الروايات.

هذا ومنه تعالى أستمد العون وهو ولي التوفيق.

الكوفة في ٣/ ٣/ ١٩٨١ **كامل سلمان الجبوري**

wadod.org

الفصل الأول

معركة القادسية ١٦هـ/٦٣٧م

المبحث الأول: بدايات ما قبل المعركة

أسباب المعركة: على أثر وقعة الجسر[١] التي قتل فيها أبو عبيد الثقفي[٢] وكثرة ما فَقَد فيه الفرس من القادة والمقاتلين، حاولوا أن يَثبوا على قادتهم كرستم والفيرُزان، ثم عدلوا لأنهم وجدوا في ذلك تشتيت أمرهم، فصار رأيهم إلى جمع قواهم وتهيئتها والهجوم على البلاد الإسلامية، فقاموا بتمليك يزدجرد بن كسرى عليهم وهو ابن عشرين عاماً، فضبط أمورهم، وحَسُنَ تدبيره، واشتدت المملكة، وقوي أمر الفرس، وأخرجوا المسلمين عن المروج[٣] فارتد أهل السواد[٤] وخرقوا العهود التي كانت في أيديهم، وصار المسلمون في الأطراف[٥] وكثرة ما وصل إلى عمر من الوفود والكتب التي بعث بها أهل العراق يعلمونه كثرة من تجمّع لهم من أهل فارس ويسألونه المدد[٦].

المشاورات وقيادة الجيش: شق ذلك على عمر وعلى المسلمين، فجمعهم وخرج بهم حتى نزل على ماء يدعى «صراراً»[٧] فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد، أيسير أم يُقيم. وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء بعثوا إليه عثمان أو عبد الرحمن بن عوف، فإن لم يقدرا على علم شيء مما يريد ثلثوا بالعباس بن عبد المطلب، فسأله عثمان عن سبب حركته ؟.. فأحضر الناس فأعلمهم الخبر واستشارهم في المسير إلى العراق.

فقال العامة: سِرْ وسِرْ بنا معك، فَدَخل معهم في رأيهم.

فقال: استعدوا وأَعِدّوا فإني سائر، إلاّ أن يجيء رأي هو أمثل من هذا ثم أجمع

---

(١) وقعة الجسر: حدثت بين المسلمين والفرس عند (الجسر) قرب الحيرة عام ١٣ هجرية، وتعرف بيوم الجسر ويوم قُس الناطف.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٢: ٣١٧.

(٣) المروج: جمع مَرْجٌ: وهي الأرض الواسعة التي فيها نبت كثير تَمْرُجُ فيه الدواب أي تذهب وتجيء.

(٤) أهل السواد: أهل العراق. والسواد تسمية للعراق يومئذ لكثرة مزروعاته ونخيله.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٤٣.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٣١٣.

(٧) صِرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق.

wadod.org

وجوه أصحاب رسول الله ﷺ وأرسل إلى علي بن أبي طالب، وكان قد استخلفه على المدينة فأتاه، واستعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله، وعلى ميمنته الزبير بن العوام، وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف، ودعا الناس ثم استشارهم فأشاروا عليه بالمسير.

ثم قال لعلي: ما ترىٰ يا أبا الحسن، أسير أم أبعث ؟

قال: سِرْ بنفسك، فإنه أهيب للعدو، وأرهب له.

فخرج من عنده، ودعا العباس في جِلَّةٍ من مشيخة قريش وشاورهم فقالوا: أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين إن انهزموا فئة، فخرجوا[1] فدخل إليه عبد الرحمن بن عوف، فاستشاره، فقال عبد الرحمن:

ـ فُديت بأبي وأمي، أقم وابعث، فإنه إن انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك، وإنك إن تُهْزَم أو تُقْتَل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً.

قال: أشر عليَّ من أبعث ؟

قال: سعد بن أبي وقاص.

قال عمر: أعلم أن سعداً رجل شجاع، ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب.

قال عبد الرحمن: هو على ما تصف من الشجاعة، وقد صحب رسول الله ﷺ وشهد بدراً، فاعهد إليه وشاورنا فيما أردت أن تحدّث إليه، فإنه لن يخالف أمرك.

ثم خرج فدخل عثمان عليه.

فقال له: يا أبا عبد الله أشر عليَّ، أسير أم أقيم ؟

فقال عثمان: أقم يا أمير المؤمنين وابعث بالجيوش، فإنه لا آمن إن أتى عليك آتٍ أن ترجع العرب عن الإسلام، ولكن ابعث الجيوش وداركها بعضها على بعض، وابعث رجلاً له تجربة بالحرب وبَصَر بها.

قال عمر: ومن هو ؟

قال: علي بن أبي طالب.

قال عمر: فالقه وكلمه وذاكره ذلك.

فأبى عليٌّ ذلك وكرهه. فعاد عثمان إلى عمر وأخبره.

فقال له عمر: ومن ترى ؟

قال: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢: ٤٥٠.

wadod.org

قال: ليس بصاحب ذلك.

قال عثمان: طلحة بن عبيد الله.

قال له عمر: أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف، رام بالنبل، ولكني أخشىٰ أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب!

قال: ومن هو يا أمير المؤمنين ؟

قال: سعد بن أبي وقاص.

فقال عثمان: هو صاحب ذاك، ولكنه رجل غائب[١].

إذ كان سعد على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر بانتخاب ذوي الرأي والنجدة والسلاح. فكتب إليه سعد، وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه، يقول (سعد في كتابه): قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة، ورأي وصاحب حيطة، يحوط حريم قومه، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم.

فلما وصل كتابه، قالوا لعمر: قد وجدتَهُ.

قال: من هو ؟

قالوا: الأسد عادياً سعد بن مالك[٢].

فانتهى إلى قولهم وأحضره وأمّره على حرب العراق ووصاه وقال:

ـ لا يغرّنك من الله أن قيل خال رسول الله، وصاحب رسول الله، فإن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيء بالحسن، وليس بين الله وبين أحد نسب إلاّ طاعته، فالناس في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله يلزمه فالزمه[٣] فإنه الأمر، هذه عظتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين.

ولما أراد أن يسرّحه دعاه، فقال:

ـ إني قد ولّيتك حرب العراق، فاحفظ وصيتي، فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلّص منه إلاّ الحق، فعوّد نفسك ومن معك الخير، واستفتح به، واعلم أن لكل عادة عتاداً، فعتاد الخير الصبر، فالصبر على ما أصابك أو نابك، يجتمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعة واجتناب معصية، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة،

---

(١) المسعودي ٢: ٣١٧ـ٣١٨.

(٢) سعد بن مالك بن أهيب، هو سعد بن أبي وقاص بن أُهيب، اسم أبي وقاص هو مالك.

(٣) ابن الأثير: ٢: ٤٥١.

wadod.org

وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً، منها السرّ، ومنها العلانية، فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء، وأما السرّ فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحبة الناس، فلا تزهد في التحبّب فإن النبيين قد سألوا محبتهم، وإن الله إذا أحب عبداً حبّبه، وإذا بغض عبداً بغّضه، فاعتبر منزلتك عند الله تعالىٰ بمنزلتك عند الناس، ممن يشرع معك في أمرك[١].

وسرّحه فيمن اجتمع إليه من نفر المسلمين، وهم أربعة آلاف، فيهم حميضة بن النعمان بن حميضة على بارق، وعمرو بن معدي كرب وأبو سَبْرة بن ذؤيب على مَذْحج، ويزيد بن الحارث الصُّدائي على صُداء، وحبيب ومُسْيلة وبشر بن عبد الله الهلالي في قيس عيلان[٢]

وخرج إليهم عمر فمرَّ بفتية من السكون مع حُصين بن نُمَير ومعاوية بن حُدَيْج دُلْم[٣] سباطٍ فأعرض عنهم، فقيل له: ما لك وهؤلاء؟ فقال: ما مرّ بي قوم من العرب أكره إليَّ منهم، ثم أمضاهم فكان بعدُ يذكرهم بالكرهة، فكان منهم سُودان بن حُمْران قتل عثمان، وابن مُلْجَم قتل علياً، ومعاوية بن حُدَيج جرّد السيف في المسلمين يُظهر الأخذ بثأر عثمان، وحصين بن نُمير كان أشد الناس في قتال علي[٤].

في الأعوص: ثم شيّعهم من صرار إلى الأعوص[٥] وقام في الناس خطيباً فقال: إن الله تعالىٰ إنما ضرب لكم الأمثال، وصرّف لكم القول ليحيي به القلوب، فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله، من علم شيئاً فلينتفع به وإن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهَيْن واللَّيْن وأما التباشير فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر باباً، ويسّر لكل باب مفتاحاً، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق، ولا تصانع في ذلك أحداً، واكتف بما يكفيك من الكفاف، فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء، إني بينكم وبين الله، وليس بيني وبينه أحد، وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه، فأنهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلىٰ من يبلّغناها نأخذ له الحق غير

---

(١) الطبري ٣: ٤٨٣ ـ ٤٨٤.
(٢) ابن الأثير: ٢: ٤٥١.
(٣) دُلم: جمع أدلم، وهو الطويل.
(٤) ابن الأثير: ٢: ٤٥١ـ٤٥٢.
(٥) الأعوص: موضع قرب المدينة على بضع أميال منها.

wadod.org

متعتَع[١].

وأمر سعداً بالسير وقال: إذا انتهيت إلى زرود[٢] فانزل بها، وتفرّقوا فيما حولها، واندب مَن حولك منهم، وانتخبْ أَهلَ النجدة والرأي والقوة والعُدّة[٣].

في زرود: وأمدّ عمر سعداً بعد خروجه بألفي يمانيّ وألفي نجدي مؤدٍ من غَطَفان، وسائر قيس، فقدم سعد زرودَ في أول الشتاء، فنزلها وتفرّقت الجنود فيما حولها من أمواه بني تميم وأسد، وانتظر اجتماع الناس، وأمر عمر، وانتخب من بني تميم والرِّباب أربعة آلاف، ثلاثة آلاف تميمي وألف ربيّ، وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف، وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن[٤] والبَسيطة[٥] فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة، وكان المثنى في ثمانية آلاف، من ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل، وألفان من سائر ربيعة، أربعة آلاف ممّن كان انتخب بعد فصول خالد، وأربعة آلاف كانوا معه ممّن بقي يوم الجسر، وكان معه من أهل اليمن ألفان من بَجيلة، وألفان من قضاعة وطيىء ممّن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك، على طيىء عدي بن حاتم، وعلى قضاعة عمرو بن وَبَرة، وعلى بَجيلة جرير بن عبد الله.

موت المثنى: فبينا الناس كذلك، سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى. والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد. مات المثنى من جراحته التي كان جُرِحها يوم الجسر، انتقضت به، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية، وسعد يومئذٍ بزرود ومع بشير يومئذ وجوهُ أهل العراق، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر، منهم فُرات بن حيّان العجلي وعتيبة، فردّهم مع سعد.

عدد المقاتلين: وقد اختلف الناس في عددِ أهل القادسية، فمن قال: أربعة آلاف فلمخرجهم مع سَعْد من المدينة، ومن قال: ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزرود، ومَن قال: تسعة آلاف فللحاق القيسيين، ومن قال: اثنا عشر ألفاً فلدفوف بني أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف، وأمر سعداً بالإقدام، فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس

---

(١) تع تع: إذا أمرته بالتواضع.

(٢) زَرود: موضع بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة.

(٣) الطبري: ٣: ٤٨٥.

(٤) الحَزن: المقصود به حزن بني يربوع نسبة إلى يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، قبيلة جرير، موضع قرب فيد وهو من جهة الكوفة.

(٥) البسيطة: موضع بين الكوفة وحزن بني يربوع.

wadod.org

بشراف، وقدم عليه مع قدومه شراف[١] الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن، فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً، وجميع من قُسم عليه فيء القادسية نحو من ثلاثين ألفاً.

كان أهل اليمن ينزعون إلى الشام، وكانت مُضر تنزع إلى العراق، فقال عمر: أرحامكم أرسخ من أرحامنا! ما بال مُضر لا تذكر أسلافها من أهل الشام![٢].

ولم يكن أحد من العرب أجرأ على فارس من ربيعة، فكان المسلمون يسمّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفَرَس، وكانت العرب في جاهليتها تسمى فارس الأسد، والروم الأسد. وفي قول عمر: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب. فلم يدع رئيساً، ولا ذا رأي، ولا ذا شرف، ولا ذا بسطة، ولا خطيباً، ولا شاعراً، إلاّ رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغُرَرهم[٣].

في شراف: وجمع سعد من كان بالعراق من المسلمين من عسكر المثنى فاجتمعوا بشَراف، وعند نزوله كتب إلى عمر بمنزله، وبمنازل الناس فيما بين غضيّ[٤] إلى الجَبّانة[٥]، فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابي هذا فعشّر الناس وعرّف عليهم، وأمّر على أجنادهم، وعبّهم، ومُرّ رؤساء المسلمين فليشهدوا، وقدّرهم وهم شهود، ثم وجههم إلى أصحابهم، وواعدهم بالقادسية، واضمم إليك المغيرة بن شعبة[٦] في خيله، واكتب إليَّ بالذي يستقر عليه أمرهم.

تعبئة الجيوش: فبعث سعد إلى المغيرة، فانضم إليه وإلى رؤساء القبائل، فأتوه، فقدّر الناس وعبّاهم بشَراف، وأمّرَ أُمراء الأجناد، وعرّف العرفاء، فعرّف على

---

(١) ابن الأثير: ٢: ٤٥٢.
شَرَاف: موضع بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب، ومن شراف إلى واقصة ميلان، وهناك بركة تعرف باللوزة. وفي شراف ثلاثة آبار كبار رشاؤها أقل من عشرين قامة، وماؤها عذب كثير.

(٢) الطبري: ٣: ٤٨٦ ـ ٤٨٧.

(٣) الطبري: ن.م.ص ٤٨٧.

(٤) غُضيَّ: تصغير الغضا، وهو شجر، وغضّى ماء لبني عامر بن ربيعة جميعاً ما خلا بني البكّاء.

(٥) الجبّانة: اسم المقابر عند أهل الكوفة. ولعله اسم لموضع مقبرة هناك.

(٦) كان عمر قد كتب إلى سعد بالارتحال من زرود، وأن ابعث إلى فرج الهند رجلاً ترضاه يكون بحياله، ويكون ردءاً لك من شيء أن أتاك من تلك التخوم. فبعث المغيرة بن شعبة في خمسمائة، فكان بحيال الأُبلة من أرض العرب، فأتى غُضيّاً، ونزل على جرير، وهو فيما هنالك يومئذ. الطبري ٣: ٤٨٧ـ٤٨٨.

wadod.org

كل عشرة رجلاً، كما كانت العرافات أزمان النبي ﷺ، وكذلك كانت إلى أن فُرض العَطاء، وأَمّرَ على الرايات رجالاً من أهل السابقة، وعشّر الناس، وأمّر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام، وولّىٰ الحروب رجالاً، فولّى على مقدماتها ومجنباتها وساقتها ومجرّداتها وطلائعها ورجالها وركبانها، فلم يفصل إلاّ على تعبية، ولم يفصل منها إلاّ بكتاب عمرو إذنه، فأما أمراء التعبية:

فاستعمل زُهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحَوتِة بن مَرْثَد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جُشَم بن الحارث الأعرج، وكان ملك هَجَر قد سَوَّده في الجاهلية، ووفده على النبي ﷺ، فقدّمه، ففصل بالمقدمات بعد الإذن من شَراف، حتى انتهى إلى العُذَيب.

واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعْتَّم: وكان من أصحاب النبي ﷺ، وكان أحد التسعة الذين قدموا على النبي ﷺ فتممهم طلحة بن عبيد الله عشرة، فكانوا عِرافة.

واستعمل على الميسرة شُرَحبيل بن السِّمْط بن شُرَحبيل الكندي: وكان غلاماً شاباً، وكان قد قاتل أهل الرّدة، ووفّى الله، فعرف ذلك له، وكان قد غلب الأشعث على الشّرف فيما بين المدينة، إلى أن اختطت الكوفة، وكان أبوه ممن تقدم إلى الشام مع أبي عبيدة بن الجراح.. وجعل خليفته خالد بن عرفطة.

وجعل عاصم بن عمرو التميمي، ثم العمري على الساقة.

وسواد بن مالك التميمي على الطلائع.

وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجرّدة.

وعلى الرُّجل حمّال بن مالك الأسدي.

وعلى الركبان عبد الله بن ذي السهمين الخثعمي.

فكان أمراء التعبية يلون الأمير، والذين يلون أمراء الأعشار، والذين يلونهم أصحاب الرايات، والذين يلونهم القواد رؤساء القبائل.

وقالوا جميعاً: لا يستعين أبو بكر في الردّة، ولا على الأعاجم بمرّتد، واستنفرهم عمر ولم يولِّ منهم أحداً.

وبعث عمر الأطبّة.

وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور.

wadod.org

وجعل إليه الأقباض[١] وقسمة الفيء.

وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسي.

والترجمان هلال الهجري.

والكاتب زياد بن أبي سفيان.

قدوم المعنّى: فلما فرغ سعد من تعبيته، وعدَّ لكل شيء من أمره جماعاً ورأساً، كتب بذلك إلى عمر، وكان من أمرِ سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالّذي جمع عليه الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شَراف إلى القادسية[٢] إذ قدم المعنّى بن حارثة الشيباني وسلمى بنت حفصة زوج المثنى بشَراف، وكان المعنّى بعد موت أخيه قد سار إلى قابوس بن قابوس بن المنذر بالقادسية، وكان قد بعثه إليها الفرس يستنفر العرب، فسار إليه المعنّى فقفله وقتله ومن معه، ورجع إلى ذي قار وسار إلى سعد يُعلمه برأي المثنى له وللمسلمين يأمرهم أن يقاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ولا يقاتلوهم بعقر دارهم، فإن يُظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يردّ الله الكرّة عليهم، فترحّم سعد ومن معه على المثنى، وجعل المعنّى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً، ثم تزوج سعد سلمى زوج المثنى. وكان معه تسعة وتسعون بدرياً وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت لهم صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة ممن شهد الفتح، وسبعمائة من أبناء الصحابة[٣].

وقدم على سعد وهو بشَراف كتاب عمر بمثل رأي المثنى نصّه:

ـ أما بعد، فسِر من شَراف نحو فارس بمن معك من المسلمين، وتوكّل على الله، واستعن به على أمرك كلّه، واعلم فيما لديك أنّك تقدم على أمة عددهم كثير، وعدّتهم فاضلة، وبأسهم شديد، وعلى بلد منيع ـ وإن كان سهلاً ـ كؤود لبحوره وفيوضه ودآدئه، إلاّ أن توافقوا غيضاً من فيض. وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدءوهم الشدّ والضرب، وإياكم والمناظرة لجموعهم، ولا يخدعنّكم، فإنهم خدعة مكرة، أمرهم غير أمركم، إلاّ أن تجادّوهم، وإذا انتهيت إلى القادسية ـ والقادسية باب فارس في الجاهليّة، وهي أجمع تلك الأبواب لمادّتهم، ولما يريدونه من تلك الأصل، وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر، وأنهار ممتنعة ـ فتكون مسالحك على

(١) الأقباض: جمع قبض، وهو ما جمع من الغنائم.

(٢) الطبري: ٣: ٤٨٨ـ٤٨٩.

(٣) ابن الأثير: ٢: ٤٥٣.

wadod.org

أنقابها، ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر، والجراع[١] بينهما، ثم الزم مكانك فلا تبرحه، فإنهم إذا أحسّوك أنغصتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدّهم وجدّهم، فإن أنتم صبرتم لعدوّكم واحتسبتم لقتاله، ونويتم الأمانة، رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا، وليست معهم قلوبهم، وإن تكن الأخرى كان الحجر في أدبارهم، فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجرة من أرضكم، ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل، حتى يأتي الله بالفتح عليهم، ويرد لكم الكرّة.

وكتب إليه أيضاً باليوم الذي يرتحل فيه من شَراف:

ـ فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عُذَيب الهجانات وعذيب القوادس، وشرّق بالناس وغرّب بهم.

في القادسية: ثم قدم عليه كتاب جواب عمر:

ـ أما بعد، فتعاهد قلبك، وحادث جندك بالموعظة والنيّة والحِسْبة، ومن غفل فليحدثهما، والصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النيّة، والأجر على قدر الحسبة، والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله، واسألوا الله العافية، وأكثروا من قول: «لا حول ولا قوّة إلا بالله» واكتب إليَّ أين بلغك جمعهم، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم، فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قِلّة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوّكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها واجعلني من أمركم على الجلية، وخَفِ الله وارجُه، ولا تدلّ بشيء. واعلم أن الله قد وعدكم، وتوكّل لهذا الأمر بما لا خُلْفَ له، فاحذر أن تصرفه عنك، ويستبدل به غيركم.

فكتب إليه سعد بصفة البلدان:

ـ إن القادسية[٢] بين الخندق[٣] والعتيق[٤]، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر

---

(١) الجراع: جمع جرعة، وهو المكان الذي فيه سهولة ورمل، وهي بين النجفة والحيرة. نزل في أحدها خالد بن الوليد عندما قدم العراق.

(٢) القادسية: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.

(٣) الخندق: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.

(٤) العتيق: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.

wadod.org

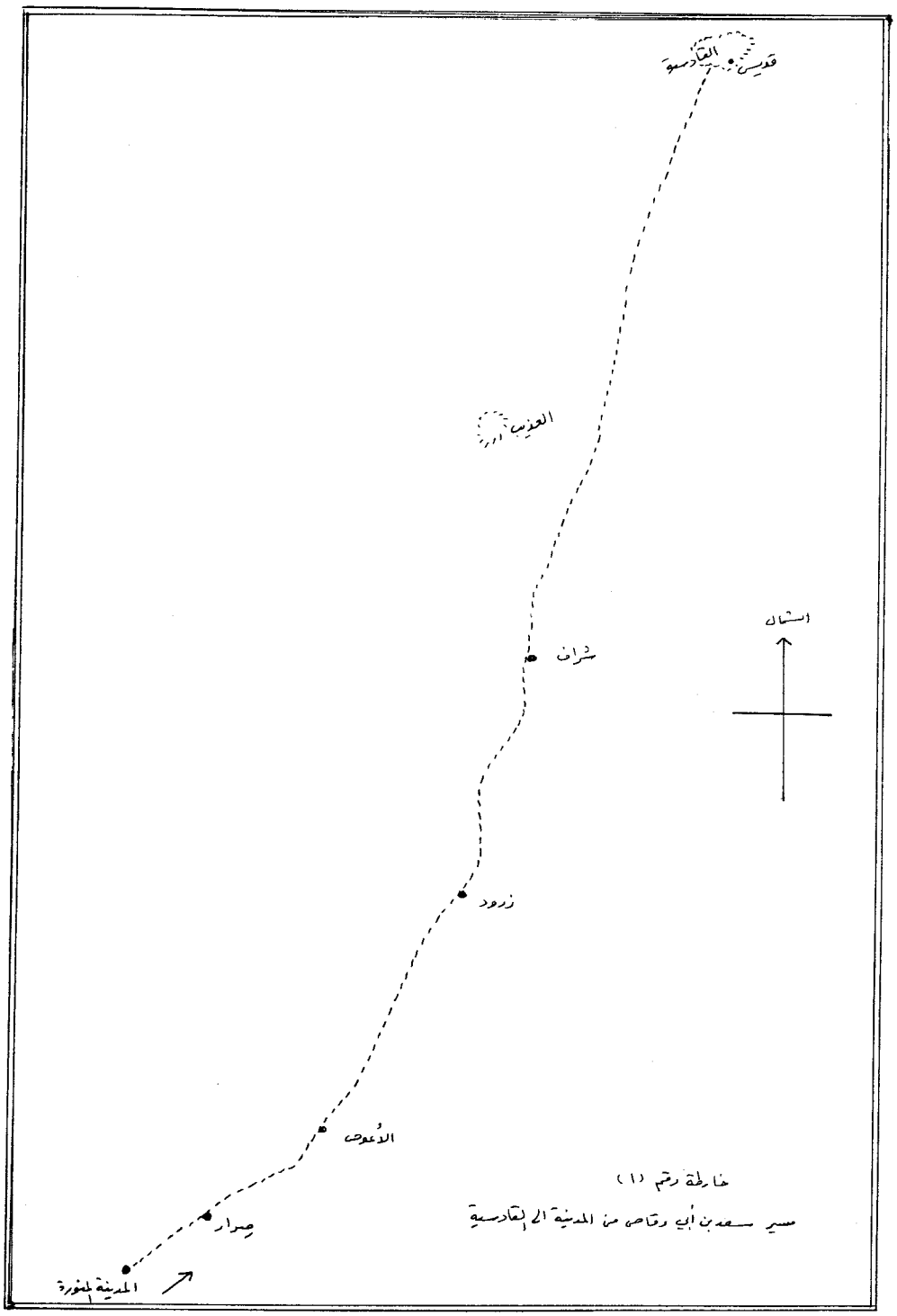

خارطة رقم (١)

مسير سعد بن أبي وقاص من المدينة الى القادسية

wadod.org

في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظهر[١]، وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الحُضوض[٢] يطلع بمن يسلكه على ما بين الخورنق[٣] والحيرة[٤]، وما عن يمين القادسية إلى الولجة[٥] فيض من فيوض مياههم[٦].

وإن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي أَلْبٌ لأهل فارس قد خفّوا لهم، واستعدوا لنا. وإن الذي أعدّوا لمصادمتنا رُستم في أمثال له منهم، فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا، ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم، وأمر الله بعد ماضٍ، وقضاؤه مُسَلّم إلى ما قُدّر لنا وعلينا، فنسأل الله خير القضاء، وخير القدر في عافية.

فكتب إليه عمر:

ـ قد جاءني كتابك وفهمته، فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوّك، واعلم أن لها ما بعدها، فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن، فإنه خرابها إن شاء الله.

وجعل عمر يدعو لسعد خاصّة، ويدعون له معه، وللمسلمين عامة.

في العذيب: فقدّم زُهرة سعد حتى عسكر **بعذيب الهجانات**[٧]، ثم خرج في أثره حتى ينزل على زهرة بعذيب الهجانات، وقدّمه فنزل زهرة **القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة، وقُديس يومئذ أسفل منها بميل.**

وكتب عمر إلى سعد:

ـ إني قد أُلقِيَ في رُوعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموهم، فاطرحوا الشك، وآثروا التقيّة عليه، فإن لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرفه[٨] بإشارة أو بلسان، فكان لا يدري الأَ عجمي ما كلّمه به، وكان عندهم أماناً، فأجروا ذلك له مجرى الأمان، وإياكم والضحك، والوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقيّة، وإن الخطأ بالغدر الهلكة، وفيها وهنكم وقوّة عدوّكم، وذهاب ريحكم، وإقبال ريحهم. واعلموا

(١) الظهر: المقصود به ظهر الكوفة، وهو النجف اليوم. انظر مواقع المعركة.
(٢) الحضوض: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.
(٣) الخورنق: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.
(٤) الحيرة: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.
(٥) الولجة: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.
(٦) فيض من فيوض مياههم: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.
(٧) عذيب الهجانات: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.
(٨) قرفه: أي رماه واتهمه.

wadod.org

أني أحذركم أن تكونوا شيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم[١].

الغارة على الحيرة: فلما نزل زُهرة في المقدمة وأمسىٰ بعث سرّية في ثلاثين معروفين بالنجدة وأمرهم بالغارة على الحيرة، فلما جازوا السّيْلحين[٢] سمعوا جلبة فمكثوا حتى حاذوهم، وإذا أُخت آزادُمَرْد بن آزاذ به مرزبان الحيرة تزف إلى صاحب الصِّنّين[٣] وهو من أشراف العجم، فحمل بُكَير بن عبد الله الليثي أمير السرية على شيرزاد بن آزاذ به فدّق صلبه وطارت الخيل على وجوهها وأخذوا الأثقال وابنة آزاذ به في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم ما لا يُدرى قيمته، فاستاق ذلك ورجع فصبّح سعداً بعذيب الهِجانات، فقسم ذلك على المسلمين، وترك الحريم بالعُذَيب ومعها خيل تحوطها[٤]، وأمّر عليهم غالب بن عبد الله الليثي[٥].

ونزل سعد القادسية، فنزل بقُدَيْس[٦]، ونزل زُهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم، وبعث بخبر سرية بُكير، وبنزوله قديساً، فأقام بها شهراً، ثم كتب إلى عمر:

ـ لم يوجّه القوم إلينا أحداً، ولم يُسْنِدوا حرباً إلى أحد علمناه، ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به، واستنصر الله فإنا بمنحاة دنيا عريضة، دونها بأس شديد، قد تقدم إلينا في الدعاء إليهم، فقال: «ستدعون إلى قوم أولي بأسٍ شديد»[٧].

الغارة على ميسان وكسكر والأنبار: وبث سعد الغارات على ميسان[٨] وبين كسكر[٩] والأنبار[١٠] فحووا من الأطعمة ما كانوا يستكفون به زماناً، وبعث سعد عيوناً إلى الحيرة وإلى صَلُوبا، ليعلموا خبر أهل فارس، فرجعوا إليه بالخبر بأن الملك قد ولّى رُستم بن الفَرّخزاد الأرمني[١١] حربه، وأقره بالعسكرة.

---

(١) الطبري ٣: ٤٩٠ـ٤٩٣.
(٢) السيلحين: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.
(٣) الصنين: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.
(٤) تحوطها: تحافظ عليها.
(٥) ابن الأثير: ٢: ٤٥٤.
(٦) قُديس: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.
(٧) سورة الفتح: الآية ١٦. الطبري ٣:٤٩٤.
(٨) ميسان: موضع محافظة ميسان اليوم.
(٩) كسكر: موضع محافظة واسط اليوم.
(١٠) الأنبار: موضع محافظة الأنبار اليوم.
(١١) استغاث أهل السواد إلى يزدجرد وأعلموه أن العرب قد نزلوا القادسية، ولا يبقى على فعلهم =

wadod.org

رستم في ساباط: ولما عسكر رستم بساباط كتب سعد بذلك إلى عمر:

ـ إن رُستم قد عسكر بساباط دون المدائن وزحف إلينا بالخيول والفيول وزهاء فارس، وليس شيء أهمَّ إليَّ ولا أناله أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه، ونستعين بالله، ونتوكل عليه، وقد بعثت فلاناً وفلاناً وهم ما وصفت.

فكتب إليه عمر:

المفاوضة: ـ لا يكربنَّك ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكّل عليه، وابعث عليه رجالاً من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم، وفلجاً عليهم، واكتب إليَّ في كل يوم[1].

فأرسل سعد نفراً منهم: النعمان بن مُقَرِّن، وبُسر بن أبي رُهُم، وحملة بن حَوِيّة، وحنظلة بن الربيع، وفرات بن حيّان، وعديّ بن سهيل، وعطارد بن حاجب، والمغيرة بن زرارة بن النبّاش الأسدي، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسّان، وعاصم بن عمرو، وعمرو بن معدي كرب، والمغيرة بن شعبة، والمعنّى بن حارثة، إلى يزدجرد دعاة. فخرجوا من العسكر فقدموا على يزدجرد وطووا رستم واستأذنوا على يزدجرد فحُبسوا، وأحضر وزراءه، رُستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم.

واجتمع الناس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلها صُهَال، وعليهم البرود وبأيديهم السياط، فأذن لهم وأحضر الترجمان وقال له: سَلْهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

= شيء، وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات ونهبوا الدواب والأطعمة، وإن أبطأ الغياث أعطيناهم بأيدينا، وكتب إليه بذلك الذين لهم الضياع بالطف وهيّجوه على إرسال الجنود. فأرسل يزدجرد إلى رستم. فدخل عليه فقال: إني أريد أن أوجّهك في هذا الوجه، فأنت رجل فارس اليوم وقد ترى ما حلَّ بالفرس مما لم يأتهم مثله، فأظهر له الإجابة ثم قال له: دَعْني فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضربهم بي، ولعل الدولة أن تثبت بي إذا لم أحضر الحرب فيكون الله قد كفىٰ ونكون قد أصبنا المكيدة، والرأي في الحرب أنفع من بعض الظفر، والأناة خير من العجلة، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرّة وأشدّ على عدوّنا. فأبى عليه، وأعاد رستم كلامه وقال: وقد اضطّرني تضييع الرأي إلى إعظام نفسي وتزكيتها، ولو أجد من ذلك بدّاً لم أتكلم به، فأنشدك الله في نفسك وملكك دَعْني أقم بعسكري وأسرح الجالينوس، فإن تكن لنا فذلك، وإلاّ بعثنا غيره حتى إذا لم نجد بداً صبرنا لهم وقد وهّناهم ونحن حامون، فإني لا أزال مرجواً في أهل فارس ما لم أهزم. فأبى إلاّ أن يسير، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط [موضع معروف بالمدائن] وأرسل إلى الملك ليعفيه فأبى. «ابن الأثير ٢: ٤٥٥ـ٤٥٦».

(١) الطبري: ٣: ٤٩٤ـ٤٩٥.

wadod.org

فقال النعمان بن مُقرّن لأصحابه: إن شئتم تكلمت عنكم، ومن شاء آثرته فقالوا: بل تكلّم.

فقال: إن الله رحمنا فأرسل علينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلاّ وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن ينبذ إلى مَن خالفه من العرب، فبدأ بهم، فدخلوا معه على وجهين: مكره عليه فاغتبط، وطائع فازداد، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأُمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسَّن الحسنَ وقبَّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمرٌ من الشر، هو أهون من آخر شرّ منه الجزاء، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا كم عليه، على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلاّ قاتلناكم.

فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقلَّ عدداً ولا أسوأ ذات بينٍ منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس، فإن كان غرر لحقكم فلا يغرّنكم منا، وإن كان الجهد فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم.

فأسكت القوم، فقام المغيرة بن زُرارة بن النبّاش الأسيّدي فقال:

أيها الملك، إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف الأشراف، ويعظّم حقوق الأشراف الأشراف، ويفخّم الأشراف الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلاّ ذلك، فجاوبني لأكون الذي أبلّغك، ويشهدون على ذلك، إنك قد وصفتنا صفةً لم تكن بها عالماً، فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالاً منّا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيّات، فنرى ذلك طعامنا، وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلاّ ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حيّة كراهية أن تأكل من طعامنا، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً، نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا، وقبيلته خير قبائلنا، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد قبل ترْبٍ كان له وكان الخليفة من بعده، فقال وقلنا، وصدق وكذبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا كان، فقذف الله في قلوبنا

wadod.org

التصديق له وأتباعه، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله، فقال لنا: إن ربكم يقول: إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلاّ وجهي، وأنا خلقت كل شيء، وإليَّ يصير كل شيء، وإن رحمتي أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلّكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي، ولأحِلّكم داري، دار السلام، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق، وقال: من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبى فقاتلوه، فأنا الحكم بينكم، فمن قتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه، فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تُسلم فتنجي نفسك.

فقال: أتستقبلني بمثل هذا!

فقال: ما استقبلت إلاّ من كلّمني، ولو كلّمني غيرك لم أستقبلك به.

فقال: لولا أنَّ الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندي، ثم استدعى بوقرٍ من تراب. فقال:

ـ إحملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن.

ـ إرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه إني مرسل إليكم رُستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية، وينكّل به وبكم من بعد ثم أورده بلادكم، حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور.

ثم قال: من أشرفكم ؟

فسكت القوم.

فقال عاصم بن عمرو ليأخذ التراب: أنا أشرفهم، أنا سيّد هؤلاء فحملنيه.

فقال: أكذاك ؟

قالوا: نعم.

فحمله على عنقه، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها، ثم انحدر في السير، فأتوا به سعداً، وسبقهم عاصم فمرّ بباب قُديس فطواه، فقال:

ـ بشّروا الأمير بالظفر، ظفرنا إن شاء الله.

ثم مضى حتى جعل التراب في الحِجر، ثم رجع فدخل على سعد، فأخبره الخبر. فقال: أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم.

وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كل يوم قوّة، ويزداد عدوّهم في كلّ يوم وهناً، واشتد ما صنع المسلمون، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك،

wadod.org

وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عمّا كان من أمره وأمرهم، وكيف رآهم.

فقال الملك: ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا عليَّ وما أنتم بأعقل منهم، ولا أحسن جواباً منهم، وأخبره بكلام متكلمهم، ولقد صدقني القوم، لقد وعِدَ القوم أمراً ليدركنه أو ليموتن عليه، على أني قد وجدت أفضلهم أحمقهم، لمّا ذكروا الجزية أعطيته تراباً فحمله على رأسه، فخرج به، ولو شاء اتقى بغيره، وأنا لا أعلم.

قال رستم: أيها الملك، إنه لأعقلهم، وتطيَّر إلى ذلك، وابصرها دون أصحابه.

وخرج رستم من عنده كئيباً غضبان ـ وكان منجماً كاهناً ـ فبعث في أثر الوفد، وقال لثقته: إن أدركهم الرسول تلافينا أرضنا، وإن أعجزوه سلبكم الله أرضكم وأبناءكم، فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم.

فقال: ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك، ما كان من شأن ابن الحجّامة الملك! ذهب القوم بمفاتيح أرضنا!

فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظاً.

وأغاروا، بعد ما خرج الوفد إلى يزدجرد، إلى أن جاؤوا إلى صيادين قد اصطادوا سمكاً، وسار سواد بن مالك التميمي إلى النجاف والفراض إلى جنبها، فاستاق ثلثمائة دابة بين بغل وحمار وثور، فأوقروها سمكاً، واستاقوها، فصبّحوا العسكر، فقسم السمك بين الناس سعد، وقسّم الدواب، ونفّل الخمس إلاّ ما رُدَّ على المجاهدين منه، وأسهم على السبي. وهذا يوم الحيتان، وقد كان الآزاذمرد ابن الآزاذبه خرج في الطلب، فعطف عليه سواد وفوارس معه، فقاتلهم على **قنطرة السَّيْلَحين** حتى عرفوا أن الغنيمة قد نجت، ثم اتَّبعوها فأبلغوها المسلمين، وكانوا إنما يقرمون إلى اللحم، فأما الحنطة والشعير والتمر والحبوب، فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا زماناً، فكانت السرايا إنما تسري اللحوم، ويسمّون أيامها بها.

الغارة على الفيوم والنهرين وشيلي: وبُعث مالك بن ربيعة بن خالد التيمي، تيم الرباب، ثم الواثلي ومعه المساور بن النعمان التيمي ثم الربيعي في سرية أخرى، فأغارا على الفيّوم[١] فأصابا إبلاً لبني تغلب والنمر فشلاّها ومن فيها، فغدوا بها على سعد، فنحرت الإبل في الناس وأخصبوا، وأغار على النهرين[٢] عمرو بن الحارث

(١) الفيّوم: موضع قريب من هيت.

(٢) النهرين: موضع ورد ذكره مع عين التمر مما يبدو واضحاً أنه بالقرب منها.

wadod.org

فوجدوا على باب ثوراء مواشي كثيرة، فسلكوا أرض شَيْلي[١] ـ وهي اليوم نهر زياد ـ حتى أتوا بها العسكر[٢].

وسار رُستم من ساباط وجمع آلة الحرب وبعث على مقدمته الجالينوس في أربعين ألفاً، وخرج هو في ستين ألفاً، وفي ساقته عشرون ألفاً، وجعل في ميمنته الهُرْمُزان، وعلى الميسرة مِهْران بن بهرام الرازي، وقال رستم للملك يشجعه بذلك: إن فتح الله علينا القوم فتوجهنا إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم إلى أن يقبلوا المسالمة.

وكان خروج رستم من المدائن في ستين ألف متبوع، ومسيره عن ساباط في مائة وعشرين ألف متبوع، وقيل غير ذلك.

ولما فصل رستم عن ساباط كتب إلى أخيه البُنْدوان:

ـ أما بعد فرمّوا حصونكم واعدوا واستعدوا، فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن أرضكم وأبنائكم، وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوساً، فإن السمكة قد كدّرت الماء، وإن النعائم قد حَسُنَتْ، والزُّهرة قد حَسُنَت، واعتدل الميزان، وذهب بهرام ولا أرى هؤلاء القوم إلاّ سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا، وإن أشد ما رأيت أن الملك قال: لتسيرُنّ أو لأسيرَنّ بنفسي.

ولقي جابان رستم على قنطرة ساباط، وكانا منجمَين، فشكا إليه وقال له: ألا ترى ما أرى ؟

فقال له رستم: أما أنا فأُقاد بخشاش وزمام ولا أجد بداً من الانقياد.

رستم في كوثي: ثم سار فنزل بكُوثَي[٣]، فأُتي برجل من العرب، فقال له:

ـ ما جاء بكم وماذا تطلبون ؟

فقال: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تُسلموا.

قال رستم: فإن قتلتم قبل ذلك!

قال: من قُتل منا دخل الجنة، ومن بقي منا أنجزه الله ما وعده، فنحن على يقين.

فقال رستم: قد وضعنا إذَن في أيديكم!

---

(١) شيلي: ناحية من نواحي الكوفة ولها نهر يعرف بنهر شيلي، ويعرف هذا النهر اليوم بنهر زياد ينسب إلى زياد ابن أبيه. ياقوت الحموي: ٣: ٣٨٦.

(٢) الطبري: ٣: ٤٩٦ـ٥٠٢، ابن الأثير ٢: ٤٥٥ـ٤٥٨.

(٣) كوثي: موضع بسواد العراق في أرض بابل.

wadod.org

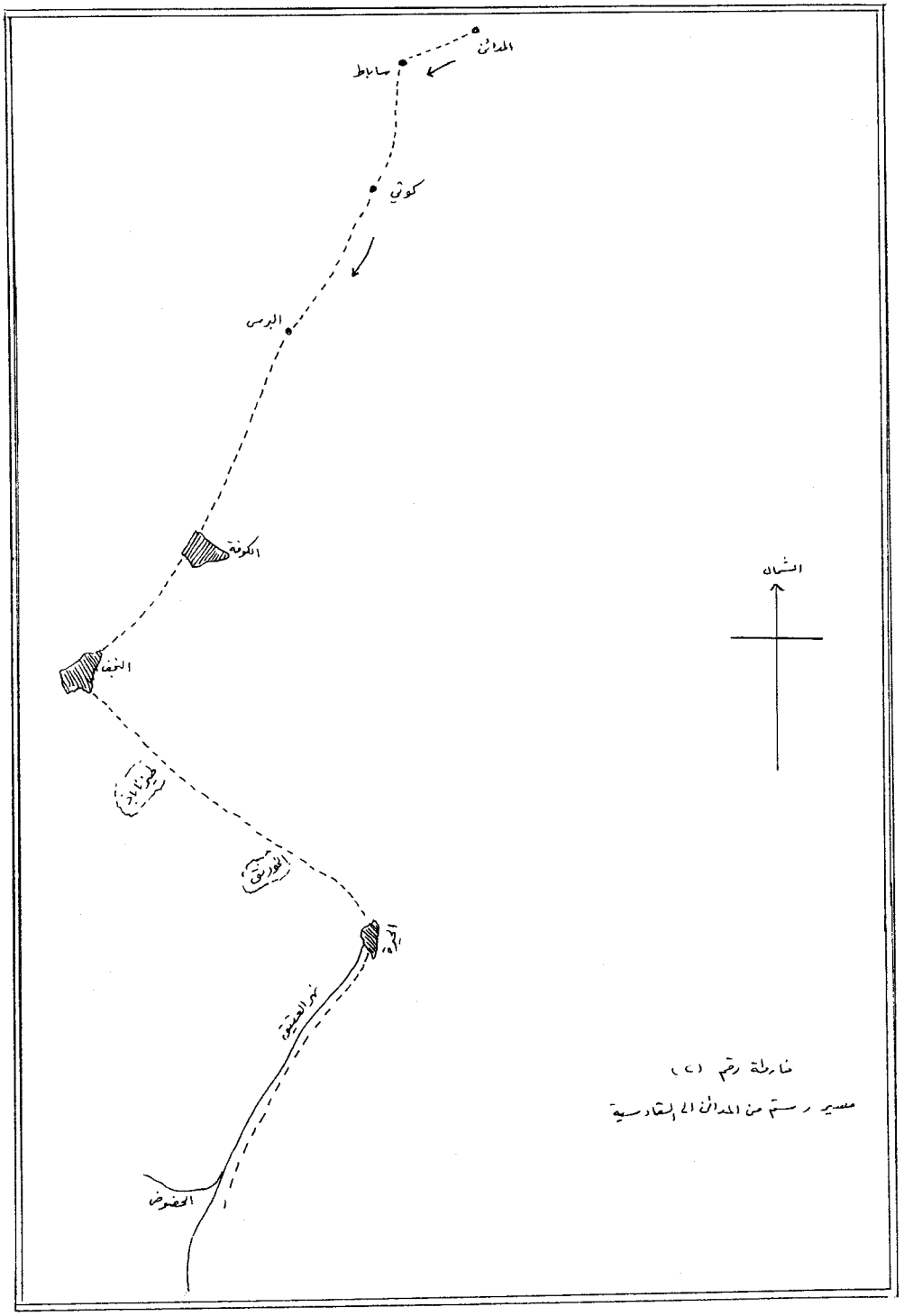

خارطة رقم (٤)

مسير رستم من المدائن الى القادسية

wadod.org

فقال: أعمالكم وضعتكم فأسلموا الله بها، فلا يغرّنك من ترى حولك، فإنك لست تجاول الإنس إنما تجاول القدر.

نزوله في البرس: فضرب عنقه ثم سار فنزل البُرُس[١] فغصُب أصحابهُ الناسَ أبناءهم وأموالهم، ووقعوا على النساء وشربوا الخمور، فضجَّ أهلها إلى رستم، فقال: يا معشر فارس والله لقد صدق العربي، والله ما أسلمنا إلاّ أعمالنا، والله إن العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة منكم، إن الله كان ينصركم على العدوّ ويمكّن لكم في البلاد بحسن السيرة وكفّ الظلم والوفاء والإحسان، فإذا تغيّرتم فلا أرى الله إلاّ مغيراً ما بكم، وما أنا بآمن من أن ينزع الله سلطانه منكم.

وأُتي ببعض من يُشتكى منه فضرب عنقه.

وصوله إلى الحيرة: ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا أهلها وتهددهم وهمَّ بهم، فقال له ابن بُقيلة: لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلومنا عن الدفع عن أنفسنا.

وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف، والجالينوس بين النجف والسيلحين، فطافت في السواد، فبعث سواداً وحميضة في مائة مائة، فأغاروا على النهرين، وبلغ رستم الخبر فأرسل إليهم خيلاً، وسمع سعد أن خيله قد وغلت فأرسل عاصم بن عمرو وجابراً الأسدي في آثارهم، فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلّصوا ما بأيديهم، فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم. وأرسل سعد عمرو بن معدي كرب وطليحة الأسدي طليعة، فسارا في عشرة، فلم يسيرا إلا فرسخاً وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف قد ملأوها، فرجع عمرو ومن معه، وأبى طليحة إلاّ التقدم.

فقالوا له: أنت رجل في نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عُكاشة بن مِحْصن، فارجع معنا.

فأبى، فرجعوا إلى سعد فأخبروه بقدوم القوم.

ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ويتوسّم، فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه، ثم هتك على آخر بيته وحلّ فرسه، ثم فعل بآخر كذلك، ثم خرج يعدو به فرسه، ونذر به الناس فركبوا في طلبه، فأصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة ثم آخر فقتله، ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه، وهما ابنا عمه، فازداد حنقاً، فلحق طليحة فكرَّ عليه طليحة وأسره، ولحقه الناس، فرأوا فارسَي

(١) البُرس: موضع بأرض بابل به آثار لبخت نصر، وتل مفرط العلو يسمى صرح البُرس.

wadod.org

الجند قد قُتلا وأُسر الثالث وقد شارف طليحة عسكره، فأحجموا عنه، ودخل طليحة على سعد ومعه الفارسي وأخبره الخبر، فسأله الترجمان الفارسي، فطلب الأمان فآمنه سعد، قال: أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمّن قِبَلي، باشرت الحروب منذ أنا غلام إلى الآن وسمعت بالأبطال ولم أسمع بمثل هذا أن رجلاً قطع فرسخين إلى عسكر فيه سبعون الفاً يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت، فلما أدركناه قتل الأول وهو يُعَدّ بألف فارس، ثم الثاني وهو نظيره، ثم أدركته أنا [ولا أظنُّ أنّني] خلفت من بعدي من يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين فرأيت الموت واستؤسرت. ثم أخبره عن الفرس وأسلم ولزم طليحة، وكان من أهل البلاء بالقادسية، وسمّاه سعد مسلماً.

في القادسية: ثم سار رستم وقدم الجالينوس وذا الحاجب، فنزل الجالينوس بحيال[١] زُهرة من دون القنطرة، ونزل ذو الحاجب بطيزناباذ[٢] ونزل رستم بالخرّارة[٣]، ثم سار رستم فنزل بالقادسية، وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسية أربعة أشهر لا يقدم رجاء أن يضجروا بمكانهم فينصرفوا، وخاف أن يلقى ما لقي من قبله، وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله وينهضه [ويقدّمه، حتى اقتحمه].

تعبئة الجيوش: وكان عمر قد كتب إلى سعد يأمر بالصبر والمطاولة أيضاً، فأعدّ للمطاولة. فلما وصل رستم القادسية وقف على العتيق بحيال عسكر سعد ونزل الناس فما زالوا يتلاحقون حتى اعتمّوا من كثرتهم والمسلمون ممسكون عنهم، وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً، منها فيل سابور الأبيض، وكانت الفيلة تألفه، فجعل في القلب ثمانية عشر فيلاً، وفي المجنبتين خمسة عشر فيلاً. فلما أصبح رستم من تلك الليلة ركب وساير العتيق نحو خَفّان[٤] حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين.

الاستطلاع: ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة، فتأمل المسلمين ووقف على موضع يشرف منه عليهم ووقف على القنطرة، وأرسل إلى زهرة فواقفه، فأراده على أن يصالحه ويجعل له جُعلاً على أن ينصرفوا عنه من غير أن يصرّح له بذلك بل يقول له: كنتم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونحفظكم، ويخبره عن صنيعهم مع العرب.

---

(١) بحيال: بأزاء.

(٢) طيزناباذ: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.

(٣) الخرّاة: موضع قرب السيلحون من نواحي الكوفة.

(٤) خفّان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً، وهو مأسدة، وقيل هو فوق القادسية، وقيل من وراء النسوخ على ميلين أو ثلاثة، عين عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي تعرف بخفّان.

wadod.org

فقال له زُهرة: ليس أمرنا أمر أولئك، إنا لم نأتِكم لطلب الدنيا إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة، وقد كنا كما ذكرتَ إلى أن بعث الله فينا رسولاً فدعانا إلى ربه فأجبناه. فقال لرسوله: إني سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني، فأنا منتقم به منهم واجعل لهم الغلبة ماداموا مقرّين به، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلاّ ذلّ، ولا يعتصم به أحد إلاّ عزّ.

فقال له رستم: ما هو ؟

قال: أما عموده الذي لا يصلح إلاّ به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قال: وأي شيء أيضاً ؟

قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، والناس بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم.

قال: وما أحسن هذا! ثم قال رستم: أرأيت إن أجبت إلى هذا ومعي قومي كيف يكون أمركم، أترجعون ؟

قال: إي والله.

قال: صدقتني، أما إن أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السَّفلة، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدّوا طورهم وعادوا أشرافهم.

فقال زهرة: نحن خير الناس للناس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون بل نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا.

المفاوضات: فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فأنفوا فأرسل إلى سعد: أن ابعث إلينا رجلاً نكلّمه ويكلمنا. فدعا سعد جماعة ليرسلهم إليهم. فقال له ربعي بن عامر: متى نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل.

فأرسله وحده، فسار إليهم، فحبسوه على القنطرة، وأعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة، ورمحه مشدود بعصب وقدّ، فلما انتهى إلى البسط قيل له:

ـ انزلْ.

فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقّهما وأدخل الحبل فيهما، فلم ينهوه وأروه التهاون وعليه درع، وأخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدّها على وسطه.

فقالوا: ضع سلاحك.

wadod.org

فقال: لم آتِكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فأخبروا رُستم.

فقال رستم: ائذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه، فلم يدع لهم نمرقاً ولا بساطاً إلاّ أفسده وهتكه. فلما دنا من رستم جلس على الأرض وركز رمحه على البُسط.

فقيل له: ما حملك على هذا ؟

قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم.

فقال له ترجمان رستم، واسمه عَبُود من أهل الحيرة: ما جاء بكم ؟

قال: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يَشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر.

فقال رستم: قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟

قال: نعم، وإن مما سنَّ لنا رسول الله ﷺ، أن لا نمكّن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: إما الإسلام وندعك وأرضك. أو الجزاء فنقبل ونكفّ عنك وإن احتجت إلينا نصرناك. أو المنابذة في اليوم الرابع إلاّ أن تبدأ بنا، أنا كفيل بذلك عن أصحابي.

قال: أسيدهم أنت ؟

قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم.

فخلا رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم كلاماً قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل ؟

فقالوا: معاذ الله أن نميل إلى دين هذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه ؟

قال: ويحكم! لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب تستخف باللباس وتصون الأحساب، ليسوا مثلكم.

فلما كان الغد أرسل رستم إلى سعد: أن ابعث إلينا ذلك الرجل. فبعث إليهم حذيفة بن مِحْصن، فأقبل في نحو من ذلك الزي ولم ينزل عن فرسه ووقف على رستم راكباً.

قال له: انزل.

قال: لا أفعل.

فقال له: ما جاء بك ولم يجيء الأول ؟

قال له: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء، وهذه نوبتي.

wadod.org

فقال: ما جاء بكم ؟ فأجابه مثل الأوّل.

فقال رستم: أو المواعدة إلى يوم ما ؟

قال: نعم، ثلاثاً من أمس. فردّه وأقبل على أصحابه. وقال:

ـ ويحكم أما ترون ما أرى ؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظّم وأقام فرسه على زِبْرِجنا، وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو في يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا. فلما كان الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً. فبعث المغيرة بن شعبة، فأقبل إليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره، فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه. وقال:

ـ قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنّا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضاً. فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسىٰ، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد، وإني لم آتكم ولكن دعوتموني اليوم، علمت أنكم مغلّبون وأن مُلكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول.

فقالت السِّفلة: صدق والله العربي.

وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله أوّلينا حين كانوا يصغّرون أمر هذه الأمة!

ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال:

ـ لم نزل متمكنين في البلاد، ظاهرين على الأعداء، أشرافاً في الأمم، فليس لأحد مثل عزنا وسلطاننا، ننصر عليهم ولا ينصرون علينا إلاّ اليوم واليومين والشهر للذنوب، فإذا انتقم الله منا ورضي علينا ردّ لنا الكرة على عدونا، ولم يكن في الأمم أمة أصغر عندنا أمراً منكم، كنتم أهل قشفٍ ومعيشة سيئة لا نراكم شيئاً، وكنتم تقصدوننا إذا قحطت بلادكم فنأمر لكم بشيء من التمر والشعير ثم نردكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلاّ الجهد في بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وآمر لكل منكم بوقر تمر وتنصرفون عنّا، فإني لست أشتهي أن أقتلكم.

فتكلم المغيرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

ـ إن الله خالق كل شيء ورازقه، فمن صنع شيئاً فإنما هو يصنعه، وأما الذي ذكرتَ به نفسك وأهل بلادك فنحن نعرفه، فالله صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ولسنا ننكره، والله ابتلانا به والدنيا دولٌ، ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا

wadod.org

إليه، ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه، ولم يزل أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم، ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عمّا أوتيتم، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغيّر الحال، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلباً من الله رحمة يرفّه بها عنا، إن الله تبارك وتعالىٰ بعث فينا رسولاً ـ ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الإسلام والجزية والقتال ـ وقال له: وإن عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم.

فقالوا: لا صبر لنا عنه.

فقال رستم: إذاً تموتون دونها.

فقال المغيرة: يدخل من قُتل منّا الجنة ومن قتل منكم النار، ويظفر من بقي منّا بمن بقي منكم.

فاستشاط رستم غضباً ثم حلف أن لا يرتفع الصبح غداً حتى نقتلكم أجمعين.

رستم يخطب بجيوشه: وانصرف المغيرة وخلّص رستم بأهل فارس وقال:

ـ أين هؤلاء منكم! هؤلاء والله الرِّجال، صادقين كانوا أم كاذبين، والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرّهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ لما أرادوا منهم، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء! فلجّوا وتجلّدوا.

فأرسل رستم مع المغيرة وقال له:

ـ إذا قطع القنطرة فاعلمه أن عينه تُفقأ غداً، فأعلمه الرسول ذلك.

فقال المغيرة: بشرتني بخير وأجر. ولولا أن أجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتمنّيت أن الأخرى ذهبت. فرجع إلى رستم فأخبره.

فقال: أطيعوني يا أهل فارس، إني لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردّها.

رسول سعد إلى رستم: ثم أرسل إليه سعد بقية ذوي الرأي فساروا، وكانوا ثلاثة، إلى رستم فقالوا له: إن أميرنا يدعوك إلى ما هو خيرٌ لنا ولك، العافية أن تقبل ما دعاك إليه ونرجع إلى أرضنا وترجع إلى أرضك وداركم لكم وأمركم فيكم وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا وكنّا عوناً لكم على أحد إن أرادكم، فاتقِ الله ولا يكونن هلاك قومك على يدك، وليس بينك وبين أن تُخبط بهذا الأمر إلاّ أن تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك.

فقال لهم: إن الأمثال أوضح من كثير من الكلام، إنكم كنتم أهل جهد وقشفٍ لا تنتصفون ولا تمتنعون فلم نُسيء جواركم وكنّا نُميركم ونُحسن إليكم، فلما طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك ودعوتموهم ثم أتيتمونا، وإنما مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعلباً فقال: وما ثعلب! فانطلق الثعلب فدعا

wadod.org

الثعالب إلى ذلك الكرم، فلمّا اجتمعوا إليه سدّ صاحب الكرم النقب الذي كنَّ يدخلن منه فقتلهن، فقد علمت أن الذي حملكم على هذا الحرص والجهد، فارجعوا ونحن نميركم، فإنّي لا أشتهي أن أقتلكم، ومثلكم أيضاً كالذباب يرى العسل فيقول: من يوصلني إليه وله درهمات ؟ وقال أيضاً: إن رجلاً وضع سلّة وجعل طعاماً فيها فأتى الجرذان فخرقن السلّة فدخلن فيها، فأراد سدّها فقيل له: لا تفعل إذن يخرقنه، لكن انقب بحياله ثم اجعل فيها قصبة مجوّفة فإذا دخلها الجرذان وخرجن منها فاقتل كل ما خرج منها، وقد سددت عليكم فإياكم أن تقتحموا القصبة فلا يخرج منها أحد إلا قُتل، فما دعاكم إلى ما صنعتم ولا أرى عدداً ولا عُدّة!

قال: فتكلم القوم وذكروا سوء حالهم وما منَّ الله به عليهم من إرسال رسوله واختلافهم أولاً، ثم اجتماعهم على الإسلام، وما أمرهم به من الجهاد، وقالوا: وأما ما ضربت لنا من الأمثال فليس كذلك ولكن إنّما مثلكم كمثل رجل غرس أرضاً واختار لها الشجر وأجرى إليها الأنهار وزينها بالقصور وأقام فيها فلاّحين يسكنون قصورها ويقومون على جنّاتها، فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يجب فأطال إمهالهم فلم يستحيوا، فدعا إليها غيرهم وأخرجهم منها، فإن ذهبوا عنها تخطّفهم الناس وإن أقاموا فيها صاروا خولاً لهؤلاء فيسومونهم الخسف أبداً، والله لو لم يكن ما نقول حقاً ولم يكن إلاّ الدنيا لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم ورأينا من زِبْرِجكم ولقارعناكم عليه!

فقال رستم: أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقالوا: بل اعبروا إلينا.

ردم العتيق: ورجعوا من عنده عشيّاً، وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا مواقفهم، وأرسل إليهم: شأنكم والعبور، فأرادوا القنطرة، فقال: لا ولا كرامة! أما شيء غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم. فباتوا يَسْكُرون العَتيق حتى الصباح بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً واستتم بعد ما ارتفع النهار[1].

المبحث الثاني: المعركة

يوم أَرْمَاثُ

لما عبر الفرس النهر العتيق أخذوا مصّافهم، وجلس رستم على سريره وضُرب عليه طيّارة، وعبّى في القلب ثمانية عشر فيلاً، عليها الصناديق والرجال، وفي المجنبتين ثمانية وسبعة، عليها الصناديق والرجال، وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين

(١) ابن الأثير: ٢: ٤٥٩ـ٤٦٨.

wadod.org

ميسرته، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين، وكان يزدجرد قد وضع رجلاً على باب إيوانه، إذ سرّح رستم، وأمره بلزومه وإخباره، وآخر حيث يسمعه من الدار، وآخر خارج الدار، وكذلك على كل عدوة رجلاً، فلما نزل رستم قال الذي بساباط: قد نزل، فقال الآخر.. حتى قاله الذي على باب الإيوان، وجعل بين كل مرحلتين على كل عدوة رجلاً، فكلما نزل وارتحل أو حدث أمرٌ قاله، فقال الذي يليه، حتى يقوله الذي يلي باب الإيوان، فنظّم ما بين العتيق والمدائن رجالاً، وترك البُرد، وكان ذلك هو الشأن.

وأخذ المسلمون مصافّهم، وجعل زُهرة وعاصم بين عبد الله وشرحبيل، ووكّل صاحب الطلائع بالطّراد، وخلط بين الناس في القلب والمجنبات، ونادى مناديه: ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله يا أيها الناس، فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد. وكان سعد يومئذ لا يستطيع أن يركب ولا يجلس، به حُبون[١]، فإنما هو على وجهه في صدره وسادة، وهو مكبّ عليها، مشرف على الناس من القصر[٢]، يرمي بالرّقاع فيها أمره ونهيه، إلى خالد بن عرفطة، وهو أسفل منه، وكان الصف إلى جنب القصر، وكان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهداً مُشرِفاً[٣].

وقد عاب عليه ذلك بعضهم فقال:

نقاتل حتى أنزل الله نصره ... وسعد بباب القادسية مُعصَمُ
فأُبنا وقد آمت نساء كثيرة ... ونسوة سعد ليس فيهن أيّمُ

وقد بلغت أبياته سعداً[٤]. وحدث شغب عليه وجوه من وجوه الناس، فهمّ بهم سعد وشتمهم وقال: والله لولا أن عدوّكم بحضرتكم لجعلتكم نكالاً لغيركم! فحبسهم وقيّدهم في القصر، ومنهم جرير بن عبد الله، فقال: أما إني بايعتُ رسول الله ﷺ على أن أسمع وأطيع لمن ولاّه الله الأمر وإن كان عبداً حبشياً. وقال سعد: والله لا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوّهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلاّ سُنّت به سُنّة يؤخذ بها من بعدي[٥].

---

(١) الحبون: الدماميل، واحدها حبن.
(٢) القصر: المقصود قصر قُديس.
(٣) تاريخ الطبري/ ج٣ ص٥٣٠ـ٥٣١.
(٤) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ ج٢ ص٤٦٩.
(٥) الطبري/ ٣: ٥٣١.

wadod.org

ومنهم أبو محجن الثقفي وقيل إن حبسه كان بسبب الخمر[١].

وكان ذلك في يوم الاثنين من محرم سنة أربع عشرة[٢].

ونزل سعد إلى الناس فاعتذر إليهم وأراهم ما به من القروح في فخذيه وأليتيه، فعذره الناس وعلموا بحاله، ولما عجز عن الركوب أعلمهم باستخلافه خالداً[٣].

وخطب سعد فحمد الله وأثنى عليه وقال:

ـ إن الله هو الحق لا شريك له في الملك، وليس لقوله خلف، قال الله جل ثناؤه: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾. إن هذا ميراثكم وموعود ربكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج، فأنتم تطعمون منها، وتأكلون منها، وتقتلون أهلها، وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، وقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم. وخيار كل قبيلة، وعزّ من ورائكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم، وتوبقوا لآخرتكم.

وقام عاصم بن عمرو في المجردة فقال:

ـ إن هذه بلاد قد أحلّ الله لكم أهلها، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلون والله معكم، إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم، وإن خُرتم وفشلتم فالله لكم من ذلك جار وحافظ، لم يُبق هذا الجمع منكم باقية، مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك. الله الله! اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها، أو لا ترون أن الأرض ورائكم بسابس قفار ليس فيها خمر ولا وزر يعقل إليه، ولا يمتنع به! إجعلوا همّكم الآخرة.

وكتب سعد إلى الرايات:

ـ إني قد استخلفت عليكم خالد بن عُرفطة، وليس يمنعني أن أكون مكانه إلاّ وجعي الذي يعودني وما بي من الحُبون، فإني مكب على وجهي وشخصي لكم باد، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمري، ويعمل برأيي. فقرىء على الناس فزادهم خيراً، وانتهوا إلى رأيه، وقبلوا منه وتحاثّوا على السمع والطاعة، وأجمعوا على عذر سعد والرّضا بما صنع.

---

(١) ابن الأثير/ ٢: ٤٧٠.

(٢) الطبري ن. ص. / ابن الأثير ن. ص

(٣) ابن الأثير/ ن. ص.

wadod.org

وخطب أمير كل قوم أصحابه، وسيّر فيهم، وتحاضّوا على الطاعة والصبر، تواصّوْا، ورجع كل أمير إلى موقفه بمن والاه من أصحابه عند المواقف، ونادى منادي سعد بالظُّهر. ونادى رستم «بادِ شَهانِ مَوْنْدر» أكل عمر كبدي أحرق الله كبده! علَّم هؤلاء حتى علموا.

لما نزل رستم النَّجَف بعث منها عيناً إلى عسكر المسلمين، فانغمس فيهم بالقادسية كبعض من ندَّ منهم، فرآهم يستاكون عند كل صلاة ثم يصلّون فيفترقون إلى مواقفهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم، وسيرتهم، حتى سأله: ما طعامهم ؟ فقال: مكثت فيهم ليلةً، لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلاّ أن يمصّوا عيداناً لهم حين يمسون، وحين ينامون، وقبل أن يصبحوا فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة فرآهم يتحشحشون[١]، فنادى في أهل فارس أن يركبوا، فقيل له: ولِمَ ؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم فتحشحشوا لكم! قال عينه: ذلك إنما تحشحشهم هذا للصلاة، فقال بالفارسية ما تفسيره: أتاني صوت عند الغداة، وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل، فلما عبروا تواقفوا، وأذن مؤذن سعد للصلاة، فصلى سعد، وقال رستم: أكل عمر كَبدي![٢].

وأرسل سعد نفراً من ذوي الرأي والنجدة منهم: المغيرة، وحذيفة، وعاصم، وطليحة، وقيس الأسدي، وغالب، وعمرو بن معدي كرب، وأمثالهم. ومن الشعراء الشمّاخ والحطيئة وأوس بن مغراء وعبدة بن الطبيب، ومن سائر الأصناف أمثالهم. وقبل أن يرسلهم قال:

ـ انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم، وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس فذكّروهم وحرّضوهم على القتال.

فساروا فيهم، فقال قيس بن هبيرة الأسدي:

ـ أيها الناس، احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يزدكم، واذكروا آلاء الله، وارغبوا إليه في عاداته، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم، وأنه ليس وراء هذا القصر إلاّ العراء والأرض القفر، والظّراب الخشن، والفلوات التي لا تقطعها الأدِلة.

وقال غالب:

ـ أيها الناس احمدوا الله على ما أبلاكم، وسلوه يزدكم، وادعوه يجبكم.

---

(١) يتحشحشون: يتحركون للنهوض.

(٢) الطبري/ ٣: ٥٣٢ـ٥٣٣.

wadod.org

يا معاشر معد: ما علتكم اليوم وأنتم في حصونكم ـ يعني الخيل ـ ومعكم من لا يعصيكم ـ يعني السيوف ؟ ـ اذكروا حديث الناس في غدٍ، فإنه بكم غداً يبدأ، وبمن بعدكم يُثنّى.

وقال ابن الهذيل الأسدي:

ـ يا معاشر معد: اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليهم كأسود الأجم، وتربّدوا[١] لهم تربد النمور، وادّرعوا العجاج، وثقوا بالله، وغضوا الأبصار. فإذا كلّت السيوف فإنها مأمورة، فأرسلوا عليهم الجنادل، فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه.

وقال بُسر بن أبي رُهم الجهني:

ـ احمدوا الله وصدقوا قولكم بفعل، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووحدتموه ولا إله غيره، وكبّرتموه، وآمنتم بنبيه ورسله فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون، ولا يكونن شيء بأهون عليكم من الدنيا فإنها تأتي من تهاون بها، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم. انصروا الله ينصركم.

وقال عاصم بن عمرو:

ـ يا معاشر العرب، إنكم أعيان العرب، وقد حَمدتم[٢] الأعيان من العجم، وإنما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم. لا تحدثوا اليوم أمراً تكونون به شيئاً على العرب غداً.

وقال ربيع بن البلاد السعدي:

ـ يا معاشر العرب: قاتلوا للدين والدنيا ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**﴾ وإن عظّم الشيطان عليكم الأمر، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم مادام للأخبار أهل.

وقال ربعي بن عامر:

ـ إن الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة، وفي الصبر الراحة، فعوّدوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعوّدوها الجزع فتعتادوه.

وقام كلّهم بنحو من هذا الكلام، وتواثق الناس، وتعاهدوا، واهتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم، وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك، وتعاهدوا وتواصوا، واقترنوا بالسلاسل، وكان المقترنون ثلاثين ألفاً.

وكان صف المشركين وعدّته عشرين ومائة ألف، معهم ثلاثون فيلاً، مع كل فيل

---

(١) تربّدوا: تعبسوا وأغضبوا.

(٢) حمدتم: قتلتم.

wadod.org

أربعة آلاف على شفير العتيق. وكان صف المسلمين مع حائط قُديس، الخندق من ورائهم. فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق. ومعهم ثلاثون ألف مسلسل، وثلاثون فيلاً تقاتل، وفيلة عليها الملوك وقوف لا تقاتل. وأمر سعد الناس أن يقرءوا على الناس سورة الجهاد، وكانوا يتعلمونها.

وقال:

ـ الزموا مواقفكم، لا تحرّكوا شيئاً حتى تصلوا الظهر، فإذا صليتم الظهر فإني مكبّر تكبيرة، فكبّروا واستعدوا، واعلموا أن التكبير لم يُعطَه أحد قبلكم، واعلموا أنّما أعطيتموه تأييداً لكم. إذا سمعتم الثانية فكبّروا، ولتستتم عُدّتكم، ثم إذا كبّرت الثالثة فكبّروا، ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوّكم، وقولوا: لا حول ولا قوة إلاّ بالله!

وقيل إنه قال:

ـ إذا سمعتم التكبير، فشدّوا شسوع نعالكم، فإذا كبّرت الثانية فتهيئوا، فإذا كبرت الثالثة فشدّوا النواجذ على الأضراس واحملوا.

وبعد أن صلى سعد الظهر أمر الغلام الذي كان ألزمه عمر إياه ـ وكان من القرّاء ـ أن يقرأ سورة الجهاد، وكان المسلمون يتعلمونها كلّهم، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد، فقرئت في كل كتيبة، فهشّت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها.

ثم كبّر سعد، فلما أتمَّ الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال، وخرج من أهل فارس أمثالهم، فاعتوروا الطعن والضرب. وخرج غالب بن عبد الله الأسدي وهو يقول:

قد عَلِمَتْ واردَةُ المشائحِ ذات اللّبانِ والبيانِ الواضحِ
أنّي سِمامُ البَطَلِ المسالحِ وفارجُ الأمرِ المُهِمّ الفادحِ[1]

فخرج إليه هرمز ـ وكان من ملوك الباب والأبواب، وكان متوّجاً ـ فأسره غالب أسراً، فأتى به سعداً، وكرّ راجعاً إلى المطاردة، وحمى الوطيس. وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول:

قد عَلِمَتْ بَيْضاءُ صَفْراءُ اللَّبَبْ مَثَلُ اللُّجَيْنِ يتَغَشّاهُ الذهَبْ
إنّي امرُؤٌ لا مَنْ يعنيه السَبَبْ مِثْلي على مِثْلَكَ يُغْريهِ العَتَبْ

فبرز إليه عظيم من أساورتهم، فجالا، ثم إن الفارسي ولّى، واتبعه عاصم حتى

(١) الطبري/ ٣: ٥٣٥ـ٥٣٦. ابن الأثر/ ٢: ٤٦٩ـ٤٧٠.

wadod.org

لجأ إلى صفوفهم، وعمّوه، وغاص عاصم بينهم حتى أيس الناس منه، ثم خرج في مجنبات القلب، وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة، فأتى به سعداً، وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبّة، وإذا هو خبّاز الملك. وفي الصناديق لطائف الملك من الأخبصة والعسل المعقود، فلما نظر إليه سعد قال: انطلقوا به إلى أهل موقفه، وقولوا: إن الأمير قد نفّلكم[١] هذا فكلوه، ففعلوا[٢].

وخرج فارسي فطلب البراز، فبرز إليه عمرو بن معدي كرب، فأخذه وجلد به الأرض، فذبحه وأخذ سواريّه ومنطقته. وحملت الفيلة عليهم ففرّقت بين الكتائب، فنفرت الخيل، وكانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلاً، فنفرت خيل بجيلة، فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمّن معها. وأرسل سعد على بني أسد أن دافعوا عن بجيلة وعمّن معها من الناس، فخرج طليحة بن خويلد وحمّال بن مالك في كتائبهما فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها. وخرج إلى طليحة عظيم منهم، فقتله طليحة، وقام الأشعث بن قيس في كندة فقال: يا معشر كندة لله درّ بني أسد أي فَرِيّ[٣] يَفْرون وأي هزء يهزؤن عن موقفهم، أغنى كل قوم ما يليهم، وأنتم تنتظرون من يكفيكم، أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم من العرب فَنَهَدَ ونهدوا معه، فأزالوا الذين بأزائهم. فلما رأى الفرس ما يلقى الناس والفيلة من أسد رموهم بحدّهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد، فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة فثبتوا لهم، وكبّر سعد الرابعة وزحف إليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على أسد، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها[٤].

فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو، فقال: يا معشر بني تميم ألستم أصحاب الإبل والخيل! أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة! قالوا: بلى والله، ثم نادى في رجال من قومه رماةٍ وآخرين لهم ثقافة، فقال لهم: يا معشر الرماة ذبّوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل، وقال: يا معشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطّعوا وُضُنها[٥]، وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد، وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة، فأخذوا

---

(١) إن الأمير قد أرسل لكم هذا.
(٢) الطبري/ ن.ص. ابن الأثير/ ن.ص. المسعودي: مروج الذهب ٢:٣٢١ـ٣٢٢.
(٣) الفري: الأمر العظيم.
(٤) ابن الأثير/ ٢: ٤٧١ـ٤٧٢.
(٥) الوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر.

wadod.org

بأذنابها وذباذب[١] توابيتها، فقطعوا وضنها، وارتفع عُواؤهم، فما بقي لهم يومئذ فيل إلاّ أعرى، وقتل أصحابها، وتقابل الناس ونُفِّس عن أسد، وردّوا فارس عنهم إلى مواقفهم، فاقتتلوا حتى غربت الشمس. ثم حتى ذهبت هدأة من الليل، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء، وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة، وكانوا ردءاً للناس، وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم، وهذا يومها الأوّل وهو يوم أرماث.

فقال عمرو بن شأس الأسدي:

جلبنا الخيل من أكناف نيقٍ ... إلى كسرى فوافقها رعالا[٢]
تركن لهم على الأقسام شجواً ... وبالحقوين أياماً طوالا
وداعية بفارس قد تركنا ... تُبَكّىٰ كلما رأت الهلالا
قتلنا رستماً وبنيه قسراً ... تثير الخيل فوقهم الهيالا
تركنا منهم حيث التقينا ... فئاماً ما يريدون ارتحالا
وفرَّ البيرزان ولم يُحامي ... وكان على كتيبته وبالا
ونجّى الهرمزان حِذارُ نفسٍ ... وركض الخيل موصلة عجالا[٣]

ولما جال الناس يوم أرماث، وكان سعد لا يطيق الجلوس، جعل سعد يتململ جزعاً فوق القصر، فلما رأت سلمى ـ زوجته ـ ما يصنع الفرس قالت: وامثنيّاه! ولا مثنى لي اليوم! قالت ذلك عند رجل ضجر مما يرى في أصحابه ونفسه، فلطم وجهها وقال: أين المثنى عن هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى! يعني أسداً وعاصماً، فقالت: أغيرةً وجبناً ؟ فقال: والله لا يعذرني اليوم أحد إن لم تعذريني وأنتِ ترين ما بي! فعلّقها الناس لم يبقَ شاعر إلا اعتدَّ بها عليه، وكان غير جبان ولا ملوم[٤].

يوم أَغْوَاث

لما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية، وقد وكّل سعد رجالاً بنقل الشهداء إلى العذيب ونقل الرّثيث[٥]، فأما الرثيث فأسلم إلى النساء يقمن عليهم إلى قضاء الله عز وجلّ عليهم، وأما الشهداء فدفنوهم هناك على مُشرِّق[٦] ـ وهو واد بين العذيب وبين

(١) الذباذب: أشياء تعلقها لهودج للزينة.
(٢) الرعال: الجماعة من الخيل.
(٣) الطبري/ ٣: ٥٤٠ـ٥٤١.
(٤) ابن الأثير/ ٢: ٤٧٣.
(٥) الرثيث: الجريح وبه رمق.
(٦) مُشرق: انظر مواقع المعركة في الفصل الثاني.

wadod.org

عين الشمس في عدوتيه جميعاً، الدنيا منهما إلى العذيب والقصوى منهما من العذيب ـ والناس ينتظرون بالقتال حمل الرثيث والأموات، فلما استقلت بهم الإبل وتوجّهت بهم نحو العذيب طلعت نواصي الخيل من الشام ـ وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر ـ فلما قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بصرف أهل العراق أصحاب خالد، ولم يذكر خالداً ضنّ بخالد فحبسه وسرّح الجيش، وهم ستة آلاف، خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألف من أفناء اليمن من أهل الحجاز.

وأمّر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، فجعله أمامه وجعل على إحدى مجنبتيه قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادي. ولم يكن شهد الأيام، أتاهم وهم باليرموك حين صُرف أهل العراق وصرف معهم ـ وعلى المجنبة الأخرى الهرماز بن عمرو العجلي، وعلى الساقة أنس بن عباس فانجذب القعقاع وطوى وتعجّل، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطعوا أعشاراً، وهم ألف، فكلما بلغ عشرة مدى البصر، سرحوا في آثارهم عشرة، فقدم القعقاع أصحابه في عشرة، فأتى الناس فسلّم عليهم، وبشّرهم بالجنود. فقال: يا أيها الناس، إني قد جئتكم في قوم، والله أن لو كانوا بمكانكم، ثم أحسّوكم حسدوكم حُظْوتَها، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم، فاصنعوا كما اصنع، فتقدم ثم نادى: من يبارز ؟ فقالوا فيه يقول أبو بكر: لا يُهزم جيش فيهم مثل هذا! وسكنوا إليه، فخرج إليه ذو الحاجب، فقال له القعقاع: من أنت ؟ قال: أنا بِهْمَن جاذَوَيْه، فنادى: يا لثارات أبي عبيد وسَلِيط وأصحاب يوم الجِسر! فاجتلدا، فقتله القعقاع، وجعلت خيله ترد قِطعاً، وما زالت ترد إلى الليل وتنشّط الناس، وكأن لم يكن بالأمس مصيبة، وكأنما استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبي وللحاق القِطع، وانكسرت الأعاجم لذلك، ونادى القعقاع أيضاً: من يبارز ؟ فخرج إليه رجلان: أحدهما البيرزان والآخر البِنْدوان، فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث أخو بني تيم اللات، فبارز القعقاع البيرزان، فضربه فأذرى رأسه، وبارز ابن ظبيان البندوان، فضربه فأذرى رأسه، وتوردهم فرسان المسلمين، وجعل القعقاع يقول: يا معاشر المسلمين، باشروهم بالسيوف، فإنما يُحصَد الناس بها، فتواصىٰ الناس، وتشايعوا إليهم، فاجتلدوا بها حتى المساء. فلم يَر أهل فارس في هذا اليوم شيئاً مما يعجبهم، وأكثر المسلمون فيهم القتل، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل، كانت توابيتها تكسرت بالأمس، فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد.

وآزر القعقاع يومئذ ثلاثة نفر من بني يربوع رياحيّين، وجعل القعقاع كلما طلعت قطعة كبّر وكبّر المسلمون، ويحمل ويحملون، واليربوعيون: نعيم بن عمرو بن عتاب،

wadod.org

وعتّاب بن نعيم بن عتّاب بن الحارث بن عمرو بن همّام، وعمرو بن شبيب بن زنباع بن الحارث بن ربيعة، أحد بني زيد. وقدم ذلك اليوم رسولٌ لعمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء، إن كنت لقيت حرباً فدعا حمّال بن مالك والزَّبيِّل بن عمرو بن ربيعة الوالبيّين، وطليحة بن خويلد الفقعسي ـ وكلهم من بني أسد ـ وعاصم بن عمرو التميمي، فأعطاهم الأسياف، ودعا القعقاع بن عمرو واليربوعيين فحملهم على الأفراس، فأصاب ثلاثة من بني يربوع ثلاثة أرباعها، وأصاب ثلاثة من بني أسد ثلاثة أرباع السيوف، فقال في ذلك الربيل بن عمرو:

لقد عَلِمَ الأقوام أنا أَحَقُّهم ... إذا حصلوا بالمرهفات البواتر
وما فتئت خيلي عشية ارمثوا ... يذودون رَهواً عن جموع العشائرِ
لَدُنْ غدوةٍ حتى أتى الليل دونهم ... وقد أفلحت أخرى الليالي الغوابرِ

وقال القعقاع في شأن الخيل:

لم تعرف الخيل العراب سواءَنا ... عشية أغواثٍ بجنب القوادِسِ
عشية رُحنا بالرِّماح كأنها ... على القوم ألوان الطيور الرَّسارِسِ

وحمل بنو عمّ القعقاع يومئذٍ، عشرة، عشرة من الرّجالة، على إبلٍ قد ألبسوها فهي مجلّلة مبرقعة، وأطافت بهم خيولهم، تحميهم، وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصفّين يتشبّهون بالفيلة، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرماث، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلاّ نفرت بهم خيلهم، وركبتهم خيول المسلمين، فلما رأى ذلك الناس استنوا بهم، فلقي فارس من الإبل يوم أغواث مما لقي المسلمون من الفيلة يوم أرماث.

وحمل رجل من بني تميم ممن كان يحمي العشيرة يقال له سواد، وجعل يتعرّض للشهادة، فقتل بعد ما حمل، وأبطأت عليه الشهادة، حتى تعرّض لرستم يريده، فأصيب دونه.

وخرج رجل من أهل فارس، ينادي: من يبارز؟ فبرز له عِلباء بن جحش العجلي، فنفحه علباء، فاسحره[1]، ونفحه الآخر فأمعاه، وخرّا، فأمّا الفارسي فمات من ساعته، وأما الآخر فانتثرت أمعاؤه، فلم يستطع القيام، فعالج إدخالها فلم يتأتَ له حتى مر به رجل من المسلمين، فقال: يا هذا، أعنّي على بطني، فأدخله له، فأخذ بصِفاقَيْه[2] ثم زحف نحو صفّ فارس ما يلتفت إلى المسلمين، فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً

(١) أسحره: اصاب سحره، السحر: الرئة.
(٢) الصفاق: جلد البطن.

wadod.org

من مصرعه، إلى صف فارس، وقال:

أرجـــو بهـــا مـــن ربنـــا ثـــوابـــا قـــد كنـــت ممـــن أحســـن الضِـــرابـــا

وخرج آخر من أهل فارس فنادى: من يبارز؟ فبرز له الأعرف بن الأعلم العقيلي فقتله، ثم برز له آخر فقتله، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه، وندر سلاحُه عنه فأخذوه، فغبّر في وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه، وقال في ذلك:

وإن يـــأخـــذوا بـــزيّ فـــإنـــي مجـــرَّبٌ خَـــروجٌ مـــن الغمّـــاءِ محتضـــرُ النصـــرِ

وإنـــي لحـــام مـــن وراء عشيـــرتـــي ركـــوب لآثـــارِ الهـــوى مُحفِـــلُ الأمـــرِ

وقد حمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة، كلما طلعت قطعة حَمل حملة وأصاب فيها، وهو يرتجز ويقول:

أزعجهـــم عمـــداً بهـــا إزعـــاجـــا أطعـــن طعنـــاً صـــائبـــاً ثجـــاجـــا

أرجـــو بـــه مـــن جنـــةٍ أفـــواجـــا[1]

وكان آخر من برز إليه بُزُرْ جُمهِر الهمداني، وقال في ذلك القعقاع:

حبـــوتُـــهُ جيّـــاشَـــةً بـــالنفـــسِ هـــدّارة مثـــل شعـــاع الشمـــسِ

فـــي يـــوم أغـــواثٍ فليـــل الفـــرسِ أنخـــس بـــالقـــوم أشـــدَّ النخـــس

حتـــى تفيـــض معشـــري ونفســـي

وبارز الأعور بن قطبة شهر براز سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه، فقال أخوه في ذلك:

لـــم أرَ يـــومـــاً كـــان أحلـــى وأمـــرْ مـــن يـــوم أغـــواث إذا افتـــرَّ الثَّغـــرْ

مـــن غيـــر ضحـــك كـــان أســـوا وأبـــر[2]

وكان قد برز إليه قبل ذلك عظيم منهم فقال له القعقاع: من أنت؟ قال: أنا بهمن بن جاذويه، وهو المعروف بذي الحاجب. فنادى القعقاع: يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحابهم يوم الجسر!! وقد كان ذو الحاجب مبارزاً لهم على من قتله إياهم، فجالا فقتله القعقاع[3].

وقاتلت الفرسان إلى انتصاف النهار. فلما اعتدل النهار تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل. فكانت ليلة أرماث تدعى (الهدأة) وليلة أغواث تدعى السواد، ولم يزل المسلمون يرون في يوم أغواث الظفر، وقتلوا فيه عامة أعلامهم، وجالت فيه خيل القلب

(١) الطبري/ ٣: ص٥٤٦ـ٥٤٧.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب ٢: ٣٢٢، الطبري ٣: ٥٤٧.

(٣) المسعودي/ ن.م.ص.

wadod.org

وثبت رَجْلهم، فلولا أن خيلهم عادت أُخذ رستم أخذاً. وبات الناس على ما بات عليه القوم ليلة أرماث، ولم يزل المسلمون ينتمون، فلما سمع سعد ذلك قال لبعض من عنده:

ـ إن تمَّ الناس على الإنتماء فلا توقظني فإنهم أقوياء، وإن سكتوا ولم ينتمِ الآخرون فلا توقظني فإنهم على السواء، فإن سمعتهم ينتمون فأيقظني فإن انتماءهم عن السَوء[١].

ولما اشتد القتال بالسواد، وكان أبو محجن الثقفي قد حُبس وقُيّد، فهو في القصر، فصعد حين أمسىٰ إلى سعد يستعفيه ويستقيله، فزبره وردّه، فنزل، فأتى سلمىٰ بنت خصفة. فقال: يا سلمى بنت آل خصفة، هل لكِ إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلّين عني وتعيرينني البلقاء، فلله عليَّ إن سلّمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي، فقالت: ما أنا وذاك! فرجع يرسف في قيوده، ويقول:

كفى حزناً أن تَردِيَ الخيل بالقنا[٢] وأُترك مشدوداً عليَّ وثاقيا
إذا قمت عنّاني الحديد وأُغلقت مصاريع دوني قد تصمّ المناديا
وقد كنت ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ فقد تركوني واحداً لا أخا ليا[٣]
وقد شفَّ جسمي أنني كل شارقٍ أعالج كبلاً مصمتاً قد برانيا
فللّهِ درّي يوم أترك موثقاً وتذهل عني أُسرتي ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيري يوم ذاك العواليا[٤]
ولله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت ألاّ أزور الحوانيا

فقالت سلمى: إني استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلَقته. وقالت: أما الفرس فلا أعيرها، ورجعت إلى بيتها، فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها، ثم دبَّ عليها، حتى إذا كان بحيال الميمنة كبّر، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفّين، فقالوا: بسرجها، وقال سعيد والقاسم: عُرْياً، ثم رجع من خلف المسلمين إلى المسيرة فكبّر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فندرَ أمام الناس، فحمل على القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه، وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً وتعجّب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النهار، فقال بعضهم: أوائل أصحاب

---

(١) ابن الأثير/ ن.م.ص ٤٧٤ـ٤٧٥.
(٢) القنا: الرماح.
(٣) الطبري ٣: ٥٤٨، ابن الأثير ٢: ٤٧٥، المسعودي/ ن.م.ص.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني/ الأغاني ج١٩: ٥.

wadod.org

هاشم[١] أو هاشم نفسه. وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس مكبٌّ من فوق القصر: والله لولا مَحبْس أبي محجن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء! وقال بعض الناس: إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر، وقال بعضهم: لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا: مَلَكٌ يثبتنا[٢]، ولا يذكره الناس ولا يأبهون له، لأنه بات في محبسه، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس، وتراجع المسلمون، وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج، ووضع عن نفسه وعن دابته، وأعاد رجليه في قيديه، وقال:

لقد علمت ثقيفٌ غير فخر ... بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعاً سابغاتٍ ... وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وأنا وفدهم في كل يوم ... فإن عميوا فسل بهمُ عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بي ... ولم أشعر بمخرجي الزحوفا
فإن أُحبس فذلكمُ بلائي ... وإن أُترَك أُذيقهمُ الحتوفا

فقالت له سلمى: يا أبا مِحْجَن، في أي شيء حبسك هذا الرجل؟ قال: أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته، ولكني كنت صاحب شرابٍ في الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر يدبّ الشعر على لساني، يبعثه على شفتي أحياناً، فيُساء لذلك ثنائي، ولذلك حبسني، قلت:

إذا متُّ فادفنّي إلى أصل كرمةٍ ... تروِيَ عظامي بعد موتي عُرُوقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني ... أخاف إذا ما متُّ ألاّ أذوقها
وتروى بخمر الحصِّ لحدي فإنني ... أسيرٌ لها من بعد ما قد أسوقها

ولم تزل سلمى مغاضبة لسعد عشية أرماث، وليلة الهدأة، وليلة السواد، حتى إذا أصبحت أتته وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن، فدعا به فأطلقته، وقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا جَرَم، والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبداً[٣].

يوم عِمَاس

ثم أصبحوا يومهم الثالث وهم على مواقفهم، وأصبح ما بين الناس كالرِّجلة

---

(١) هاشم بن عتبة.
(٢) أي هذا ملاك بيننا.
(٣) الطبري ٣: ٥٤٨ـ٥٥٠، ابن الأثير ٢: ٤٧٥ـ٤٧٦، المسعودي/ن.م. ص ٣٢٣.

wadod.org

الحمراء ـ يعني الحَرَّة ـ ميلٌ في عرض ما بين الصفّين، وقد قتل من المسلمين ألفان من رثيث وميّت، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميت. وقال سعد: من شاء غسل الشهداء، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم، فجعلوهم من وراء ظهورهم، وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر، ويبلغون الرثيث إلى النساء، وحاجِب بن زيد علىٰ الشهداء، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين: يوم أغواث، ويوم أرماث، بعدوتي مشرّق، فدفن ألفان وخمسمائة من أهل القادسية وأهل الأيام، فمر حاجب وبعض أهل الشهادة وولاة الشهداء في أصل نخلة بين القادسية والعذيب، وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها، فكان الرثيث إذا حُملوا فانتهى بهم إليها وأحدهم يعقل سألهم أن يقفوا به تحتها يستروح إلى ظلها، ورجل من الجرحى يُدعى بجيراً يقول وهو مستظل بظلها:

ألا اسلمـــي يـــا نخلـــةً بيـــن قـــادسٍ وبيـــن العـــذيـــب لا يجـــاورك النخـــلُ

ورجل من بني ضبّة، أو من بني ثور يدعى غيلان، يقول:

ألا اسلمـــي يـــا نخلـــة بيـــن جـــرعـــة يجـــاورك الجُمـــان دونـــك والـــرغـــل[1]

ورجل من بني تيم الله، يقال له: رِبعي يقول:

أيـا نخلـة الجـرعـاء يـا جـرعـة العـدى سقتـك الغـوادي والغيـوث الهـواطِـل

وقال الأعور بن قطبة:

ايـا نخلـة الـركبـان لا زلـت فـانضِـري ولا زال فـي أكنـاف جـرعـائـك النخـل

وقال عوف بن مالك التميمي، ويقال التيمي ـ تيم الرباب:

أيـا نخلـة دون العـذيـب بتلعـةٍ سقيـت الغـوادي المـدجنـات مـن النخـل

وبات القعقاع ليلته كلها يسرّب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه من الأمس، ثم قال: إذا طلعت لكم الشمس، فاقبلوا مائة مائة، كلّما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة، فإن جاء هاشم فذاك وإلاّ جددتم للناس رجاءً وجدّاً، ففعلوا، ولا يشعر بذلك أحد، وأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا قتلاهم، وخلّوا بينهم وبين حاجب بن زيد وقتلى المشركين بين الصفّين قد أضيعوا، وكان لا يعرضون لأمواتهم، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشد بها أعضاد المسلمين، فلما ذرّ قرن الشمس والقَعقاع يلاحظ الخيل، وطلعت نواصيها كبّر وكبّر الناس، وقالوا: جاء المدد. وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها، فجاؤوا من قبل خفّان فتقدم الفرسان وتكتبت

(١) الجمان والرغل: نبتان.

wadod.org

الكتائب، فاختلفوا الضرب والطعن، ومددهم متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم، وقد طلعوا في سبعمائة، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يوميه، فعبّى أصحابه سبعين سبعين، فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث ـ ولم يكن من أهل الأيام، إنما أتى من اليمن اليرموك ـ فانتدب مع هاشم، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب، كبّر وكبّر المسلمون، وقد أخذوا مصافهم، وقال هاشم: أول القتال المطاردة ثم المراماة، فأخذ قوسه، فوضع سهماً على كبدها، ثم نزع فيها، فرفعت فرسه رأسها، فخلّ[1] أذنها، فضحك وقال: واسوأتاه من رمية رجل! كل من رأى ينتظره! أين ترون سهمي كان بالغاً؟ فقيل العتيق، فنزّقها وقد نزع السهم، ثم ضربها حتى بلغت العتيق، ثم ضربها فأقبلت به تخرقهم، حتى عاد إلى موقفه، وما زالت مقانبه تطلع إلى الأولى، وقد بات المشركون في علاج توابيتهم، حتى أعادوها، وأصبحوا على مواقفهم، وأقبلت الفيلة معها الرجّالة يحمونها أن تقطع وضنها، ومع الرجّالة فرسان يحمونهم، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه، لينفروا بهم خيلهم، فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس، لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش، وإذا أطافوا به كان آنس، فكان القتال كذلك، حتى عدل النهار، وكان يوم عِماس من أوله إلى آخره شديداً، العرب والعجم فيه على السواء، ولا يكون بينهم نقطة إلاّ تعاورها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد، فبعث إليهم أهل النجدات ممن بقي عنده، فيقوون بهم، وأصبحت عنده للذي لقي بالأمس الأمداد على البُرد، فلولا الذي صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين وأتاح لهم بهاشم، كسر ذلك المسلمين.

وقدم هاشم بن عُتبة في أهل العراق من الشام، فتعجل أُناس ليس معه أحد من غيرهم إلاّ نُفير، منهم قيس بن المكشوح، فلما دنا تعجّل في ثلثمائة، فوافق الناس وهم على مواقفهم، فدخلوا مع الناس في صفوفهم.

وكان هاشم لا يقاتل إلاّ على فرس أنثى، لا يقاتل على ذكر، فلما وقف في الناس رمى بسهم، فأصاب أذن فرسه، فقال: واسوأتاه من هذه! أين ترون سهمي كان بالغاً لو لم يصب أذن الفرس! قالوا: كذا وكذا، فأجال فنزل وترك فرسه، ثم خرج يضربهم حتى بلغ حيث قالوا.

وكانت خطبة قيس بن المكشوح على من يليه نصّها:

---

(١) خلّ: ثقب ونفذ.

wadod.org

ـ يا معشر العرب، إن الله قد منَّ عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد ﷺ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً، دعوتكم واحدة، وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عَدْوَ الأسد، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئاب، فانصروا الله ينصركم، وتنجّزوا من الله فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام، وانتثال القصور الحُمر والحصون الحُمر.

وقال عمر بن معدي كرب:

ـ إني حامل على الفيل ومن حوله ـ لفيل بأزائهم ـ فلا تدعوني أكثر من جزر جزور، فإن تأخرتم عني فقد تم أبا ثور، فإني لكم مثل أبي ثور! فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم، وستره الغبار، فقال أصحابه: ما تنتظرون! ما أنتم بخلقاء أن تدركوه، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم فحملو حملة، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه، وإن سيفه لفي يده يضاربهم، وقد طعن فرسه، فلما رأى أصحابه، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجل فرس رجل من أهل فارس، فحركه الفارسي، فاضطرب الفرس، فالتفت الفارسي إلى عمرو، فهمّ به وأبصره المسلمون، فغشوه، فنزل عنه الفارسي، وحاضر إلى أصحابه، فقال عمرو: أمكنوني من لجامه، فأمكنوه منه فركبه.

وخرج فارسي حتى إذا كان بين الصفّين هدر وشقشق ونادى: من يبارز ؟ فخرج رجل من المسلمين يقال له: شبّر بن علقمة ـ وكان قصيراً قليلاً دميماً ـ فقال: يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرجل، فلم يجبه أحد، ولم يخرج إليه أحد، فقال: أما والله لولا أن تزدروني لخرجت إليه، فلما رأى أنه لا يُمنع أخذ سيفه وجحفته[١] وتقدم، فلما رآه الفارسي هدرَ، ثم نزل إليه فاحتمله، فجلس على صدره، ثم أخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود بمنطقته، فلما استل السيف حاص الفرس حيصة[٢] فجذبه المقود، فقلبه عنه، فأقبل عليه وهو يُسْحب، فافترشه فجعل أصحابه يصيحون به، فقال: صيحوا ما بدا لكم، فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلبه فذبحه وسلبه، ثم أتى به سعداً، فقال: إذا كان حين الظهر فأتني، فوافاه بالسلب، فحمد الله سعد وأثنى عليه، ثم قال: إني قد رأيت أن أنحله إياه، وكل من سلب سلباً فهو له، فباعه باثني عشر ألفاً.

ولما رأى سعد الفيلة تفرّق بين الكتائب وعادت لفعلها يوم أرماث، أرسل إلى أولئك المُسْلِمة: ضَخْم، ومُسْلِم، ورافع، وعَشَنَّق، وأصحابهم من الفرس الذين

(١) الجحفة: الترس من الجلد بلا خشب ولا عقب.

(٢) يقال: حاص الفرس يحيص حيصاً: إذا عدل وحاد.

wadod.org

أسلموا، فدخلوا عليه، فسألهم عن الفيلة: هل لها مَقاتِل؟ فقالوا: نعم، المشافر والعيون لا ينتفع بها بعدها. فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو: اكفياني الأبيض ـ وكانت كلها آلفة له، وكان بأزائهما ـ وأرسل إلى حمّال والربيل: اكفياني الفيل الأجرب، وكانت آلفة له كلها وكان بأزائها، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمّين ليّنين ودبّا في خيل ورجل فقال: اكتنفوه لتحيّروه، وهما مع القوم، ففعل حمّال والربيل مثل ذلك، فلما خالطوهما اكتنفوهما، فنظر كل واحد منهما يمنة ويسرة، وهما يريدان أن يتخبطا، فحمل القعقاع وعاصم، والفيل متشاغل بمن حوله، فوضعا رمحيهما معاً في عيني الفيل الأبيض، وقبع ونفض رأسه، فطرح سائسه ودلى مشفره، فنفحه القعقاع، فرمى به ووقع لجنبه، فقتلوا من كان عليه. وحمل حمّال، وقال للربيل: اختر، أما إن تضرب المشفر وأطعن في عينه، أو تطعن في عينه وأضرب مشفره، فاختار الضرب، فحمل عليه حمّال وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفه، لا يخاف سائسه إلاّ على بطانه، فانفرد به أولئك، فطعنه في عينه، فأقعى، ثم استوى ونفحه الربيل، فأبان مشفره وبصر به سائسه، فبقر أنفه[١] وجبينه بفأسه. وعلى أثر ذلك ولّت الفيلة إذ خرقت صف الأعاجم فعبرت العتيق، وأتت المدائن في توابيتها وهلك من فيها.

ولما ذهبت الفيلة، وخلص المسلمون بأهل فارس، ومالَ الظل تزاحف المسلمون، وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار، فاجتلدوا بها[٢] حتى أمسوا على حَرد، وهم في ذلك على السواء، لأن المسلمين حين فعلوا بالفيول ما فعلوا، تكتبت كتائب الإبل المجففة[٣]، فعرقبوا فيها، وكفكفوا عنها، وقال في ذلك القعقاع بن عمرو:

حَضَّضَ قومي مضرحيُّ بن يَعْمَرِ ... فللهِ قومي حين هزّوا العواليا
وما خام عنها يوم سارت جموعنا ... لأهل قُديسٍ يمنعون الموالياً[٤]
فإن كنت قاتلت العدو فللته ... فإني لألقى في الحروب الدواهيا
فيولاً أراها كالبيوت مغيرة ... أسمّل أعياناً لها وما آقيا

ولما أمسىٰ الناس في يومهم ذلك، وطعنوا في الليل، اشتد القتال وصبر الفريقان فخرجا على السواء إلاّ الغمائم من هؤلاء وهؤلاء، فسمّيت ليلة الهرير، لم يكن قتال بليل

---

(١) بقر أنفه: شقه.

(٢) بها: أي السيوف.

(٣) مجففة: اي عليها التجافيف، جمع تجفاف، وهو ما يوضع على ظهر الفرس أو الجمل في الحرب، يصنع من الحديد أو غيره.

(٤) خام: نكص وجبن.

wadod.org

بعدها في القادسية[١].

ليلة الهَرِيرُ

وقد سُمّيت بذلك لتركهم الكلام إذ كانوا يهرّون هريراً.

بعث سعد ليلة الهرير طليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل العسكر ليقوموا عليها خشية أن يأتيه القوم منها. فلما أتياها قال طليحة: لو خُضنا وأتينا الأعاجم من خلفهم. قال عمرو: بل نعبر أسفل. فافترقا[٢] وأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وحده، وسفل عمرو بأصحابهما جميعاً، فأغاروا وثارت بهم الأعاجم، وخشي سعد منها الذي كان، فبعث قيس بن المكشوح في آثارهما في سبعين رجلاً، وكان من أولئك الرؤساء الذين نهى عنهم أن يوّليهم المائة، وقال: إن لحقتَهم فأنت عليهم. فخرج نحوهم، فلما كان عند المخاضة وجد القوم يكردون عمراً وأصحابه، فنهنه الناس عنه، وأقبل قيس على عمرو يلومه، فتلاحيا، فقال أصحابه: إنه قد أمر عليك، فسكت، وقال يتأمر عليَّ رجل قد قاتلته في الجاهلية عُمْرَ رجل! فرجع إلى العسكر، وأقبل طليحة حتى إذا كان بحيال السِّكْر، كبّر ثلاث تكبيرات، ثم ذهب، فطلبه القوم فلم يدروا أين سلك! وسفل حتى خاض، ثم أقبل إلى العسكر، فأتى سعداً فأخبره، فاشتد ذلك على المشركين، وفرح المسلمون وما يدرون ما هو!

وذُكِرَ أن عشرة إخوة من بني كاهل بن أسد، يقال لهم بنو حَرب، جعل أحدهم يرتجز ليلتئذ، ويقول:

أنا ابن حرب ومعي مخراقي أضربهم بصارم رَقراقِ
إذ كره الموت أبو إسحاقِ وجاشت النفس على التراقي
صبراً عفاقُ إنه الفراقُ[٣]

وكان عفاق أحد العشرة، فأصيب فخذ صاحب هذا الشعر يومئذ فأنشأ يقول:

صبراً عفاق إنها الأساوره صبراً ولا تغررك رجلٌ نادره

فمات من ضربته يومئذٍ.

لما بعث سعد طليحة، وعبر العتيق، ودار إلى عسكر القوم، حتى إذا وقف على ردم النهر كبّر ثلاث تكبيرات، فراع أهل فارس، وتعجب المسلمون، فكفَّ بعضهم عن

---

(١) الطبري ٣: ٥٥٠ـ٥٥٧.
(٢) ابن الأثير: ٢: ٤٧٩.
(٣) في البيت إقواء.

wadod.org

بعض للنظر في ذلك، فأرسلت الأعاجم في ذلك، وسأل المسلمون عن ذلك، ثم إنهم عادوا وجدّدوا تعبية، وأخذوا في أمرٍ لم يكونوا عليه في الأيام الثلاثة، والمسلمون على تعبيتهم، وجعل طليحة يقول: لا تعدموا امرأً ضعضعكم. وخرج مسعود بن مالك الأسدي وعاصم بن عمرو التميمي، وابن ذي البردين الهلالي، وابن ذي السهمين، وقيس بن هبيرة الأسدي، وأشباههم، فطاردوا القوم، وانبعثوا للقتال، فإذا القوم لُمَّة لا يشدون، ولا يريدون غير الزحف، فقدموا صفاً له أذنان، واتبعوا آخر مثله، وآخر، وآخرٍ، حتى تمّت صفوفهم ثلاثة عشر صفاً في القلب والمجنبتين كذلك، فلما أقدم عليهم فرسان العسكر راموهم فلم يعطفهم ذلك عن ركوبهم، ثم لحقت بالفرسان الكتائب، فأصيب ليلتئذ خالد بن يعمر التميمي، ثم العمري، فحمل القعقاع على ناحيته التي رمى بها مزدلفاً، فقاموا على ساق، فقال القعقاع:

سقى الله يا خوصاء قبر ابن يعمرٍ ... إذا ارتحل السفّار لم يترحلِ
سقى الله أرضاً حلّها قبر خالدٍ ... ذهاب غوادٍ مدجنات تجلجل[1]
فأقسمت لا ينفكُّ سيفي يَحُسُّهم ... فإن زحل الأقوام لم أَتزحّلِ

فزاحفهم والناس على راياتهم بغير إذن سعد، فقال سعد: اللهم اغفر له، وانصره قد أذنت له إذ لم يستأذني، والمسلمون على مواقفهم، إلاّ من تكتب أو طاردهم وهم ثلاثة صفوف، فصفٌّ فيه الرجّالة أصحاب الرماح والسيوف، وصف فيه المرامية، وصف فيه الخيول، وهم أمام الرجّالة، وكذلك الميمنة، وكذلك الميسرة. وقال سعد: إن الأمر الذي صنع القعقاع، فإذا كبرت ثلاثاً فازحفوا، فكبّر تكبيرة فتهيئوا، ورأى الناس كلهم مثل الذي رأى، والرحى تدور على القعقاع ومن معه.

وقام قيس بن هبيرة المرادي فيمن يليه، ولم يشهد شيئاً من لياليها إلاّ تلك الليلة، فقال: إن عدوّكم قد أبى إلا المزاحفة، والرأي رأي أميركم، وليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرجّالة، فإن القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوّهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم، ولم يطيقوا أن يقدموا عليهم، فتيسَّروا للحملة، فتيسروا وانتظروا التكبيرة وموافقة حمل الناس، وإن نشاب الأعاجم لتجوز صف المسلمين.

قال دريد بن كعب النخعي، وكان معه لواء النخع: إن المسلمين تهيئوا للمزاحفة، فاسبقوا المسلمين الليلة إلى الله والجهاد، فإنه لا يسبق الليلة أحد إلاّ كان ثوابه على قدر سبقهِ، نافسوهم في الشهادة، وطيبوا بالموت نفساً، فإنه أنجى من الموت إن كنتم

(١) أيضاً.

wadod.org

تريدون الحياة، وإلاّ فالآخرة ما أردتم.

وقال الأشعث بن قيس: يا معشر العرب، إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت، ولا أسخىٰ أنفساً عن الدنيا، تنافسوا الأزواج والأولاد، ولا تجزعوا من القتل، فإنه أمانيّ الكرام، ومنايا الشهداء، وترجّل.

وقال حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار: ترجّلوا أيها الناس، وافعلوا كما نفعل، ولا تجزعوا مما لابد منه، فالصبر أنجى من الفزع، وفعل طليحة وغالب وحمّال وأهل النجدات من جميع القبائل مثل ذلك.

ونزل ضرار بن الخطاب القُرشي، وتتابع على التسرّع إليهم الناس كلّهم فيما بين تكبيرات سعد حين استبطئوه، فلما كبّر الثانية، حمل عاصم بن عمرو حتى انضم إلى القعقاع، وحملت النخع، وعصى الناس كلهم سعداً، فلم ينتظر الثالثة إلاّ الرؤساء، فلما كبّر الثالثة زحفوا فلحقوا بأصحابهم، وخالطوا القوم، فاستقبلوا الليل استقبالاً بعد ما صلّوا العشاء.

حمل الناس ليلة الهرير عامة، ولم ينتظروا بالحملة سعداً، وكان أول من حمل القعقاع، فقال: اللهم اغفرها له وانصره. وقال واتميماه، سائر الليلة! ثم قال: أرى الأمر ما فيه هذا، فإذا كبّرت ثلاثاً فاحملوا. فكبّر واحدة فلحقتهم أسد، فقيل: قد حملت أسد، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم، واأسداه سائر الليلة! ثم قيل: حملت النخع، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم، وانخعاه، سائر الليلة! ثم قيل: حملت بجيلة، فقال: اللهم اغفرها لهم، وانصرهم، وابجيلتاه! ثم حملت الكنود، فقيل: حملت كندة، فقال: واكندتاه! ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبيرة، فقامت حربهم على ساق حتى الصباح، فذلك ليلة الهرير.

وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد، وأقبل سعد على الدعاء حتى إذا كان وجه الصبح، انتهى الناس فاستدل بذلك على أنهم الأعلون، وأن الغلبة لهم.

وأول شيء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدل به على الفتح في نصل الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحــن قتلنــا معشــراً وزائــدا أربعــة وخمســة وواحــدا
نُحسَــبُ فــوق اللبــد الأســاودا حتــى إذا مــاتــوا دعــوت جــاهــدا
الله ربــي، واحتــرزت عــامــدا

واجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى الصباح لا ينطقون، كلامهم الهرير، فسميت

wadod.org

ليلة الهرير[١].

يوم القادسيّة

وأصبح الناس ليلة الهرير ـ وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالي ـ وهم حسرىٰ لم يغمضوا ليلتهم كلها. فسار القعقاع في الناس فقال: إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا، فإن النصر مع الصبر، فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء، وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح، فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا: لا يكونن هؤلاء أجدّ في أمر الله منكم، ولا هؤلاء، يعني الفرس، أجرأ على الموت منكم. فحملوا فيما يليهم وخالطوا من بأزائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة، فكان أوّل من زال الفيرزان والهُرْمُزان فتأخرا وثبتا حتى انتهيا، وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبّت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيّارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة، فاستظل في ظل بغل وحمْله، وضرب هلال بن عُلَّفَة الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه أحد العدلين، ولا يراه هلال ولا يشعر به، فأزال عن ظهره فقاراً، وضربه هلال ضربة فنفحت مسكاً. ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه وأخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم ألقاه بين أرجل البغال ثم صعد السرير وقال: قتلت رستم ورب الكعبة! إليّ إليّ! فأطافوا به وكبّروا، فنفله سعد سلبه، وكان قد أصابه الماء ولم يظفر بقلنسوته، ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألف.

وقيل: إن هلالاً لما قصد رستم رماه رستم بنشّابة أثبت قدمه بالركاب، فحمل عليه هلال فضربه فقتله، ثم احتز رأسه وعلّقه ونادى: قتلت رستم! فانهزم قلب المشركين.

وقام الجالينوس على الردم ونادى الفرس إلى العبور، وأما المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر، وهم ثلاثون ألفاً، وأخذ ضرار بن الخطاب دِرَفْس كابيان، وهو العلم الأكبر الذي كان للفرس، فعوّض منه ثلاثين ألفاً، وكانت قيمته ألف، ألف، ومائتي ألف، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الأيام قبله، وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة، وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف فدفنوا في الخندق حيال مُشرِّق، ودُفن ما كان قبل ليلة الهرير على مشرِّق، وجمعت الأسلاب والأموال فجمع منها شيء

(١) الطبري ٣: ٥٥٧ـ٥٦٢.

wadod.org

لم يجمع قبله ولا بعده مثله.

وأرسل سعد إلى هلال فسأله عن رستم، فأحضره، فقال: جرّده إلاّ ما شئت، فأخذ سلبه فلم يدع عليه شيئاً. وأمر القعقاع وشُرَحْبيل باتباعهم حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية، وخرج زهرة بن الحَويّة التميمي في آثارهم في ثلاثمائة فارس، ثم أدركه الناس فلحق المنهزمين والجالينوس يجمعهم، فقتله زهرة وأخذ سلبه، وقتلوا ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف، وعادوا من أثر المنهزمين ومعهم الأسرى، فرؤي شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلاً أسرى من الفرس.

واستكثر سعد سلب الجالينوس فكتب فيه إلى عمر، فكتب عمر إلى سعد: تعمد إلى مثل زُهْرة وقد صَلي بمثل ما صَلى به وقد بقي عليك من حربك ما بقي تُفسد قلبه ـ امضي له سلبه وفضّله على أصحابه عند عطائه بخمسمائة.

ولما اتبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير إلى الفارسي فيأتيه فيقتله، وربما أخذ سلاحه فقتله به، وربما أمر رجلين فيقتل أحدهما صاحبه.

ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة منهم قد نصبوا راية وقالوا: لا نبرح حتى نموت، فقتلهم سلمان ومن معه. وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة استحيوا من الفرار، وقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس. وكان قتال أهل الكتائب من الفرس على وجهين، منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل، وكان ممن هرب من أمراء الكتائب الهُرْمُزان، وكان بإزاء عُطارد، ومنهم أهوذ، وكان بإزاء حنظلة بن الربيع، وهو كاتب النبي ﷺ، ومنهم زاد بن بُهَيْش، وكان بإزاء عاصم بن عمرو، ومنهم قارن، وكان بإزاء القعقاع، وكان ممن ثبت وقُتل شهريار بن كُنارا، وكان بإزاء سلمان بن ربيعة، وابن الهِرْبذ، وكان بإزاء عبد الرحمن بن ربيعة، والفرُّخان الأهوازي، وكان بإزاء بُسْر بن أبي رُهْم الجُهَنيّ، ومنهم خُشْنُد سوم أو (خُسْرَوشنوم) الهمذاني، وكان بإزاء ابن الهذيل الكاهلي.

وتراجع الناس في طلب المنهزمين وقد قُتل مؤذنهم، فتشاجَ المسلمون في الأذان حتى كادوا يقتتلون، واقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل رجل، فأذن. وفُضّل أهل البلاء من أهل القادسية عند العطاء بخمسمائة خمسمائة، وهم خمسة وعشرون رجلاً منهم: زُهرة، وعصمة الضبي، والكلج، وأما أهل الأيام قبلها فإنهم فُرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على أهل القادسية، فقيل لعمر: لو ألحقت بهم أهل القادسية. فقال: لم أكن لألحق بهم من لم يدركهم. وقيل له: لو فضّلت مَن بَعُدت داره على من قاتلهم بفنائه، قال: كيف أُفضّل عليهم وهم شجن العدوّ! فهلاّ فعل المهاجرون بالأنصار هذا!

وكانت العرب تتوقّع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسية فيما بين العُذَيْب إلى عدن

wadod.org

أَبْيَنَ وفيما بين الأُبُلّة وأيلة، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها، وكانت في كل بلد مصيخة إليها، تنظر ما يكون من أمرها.

وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبعدّة من قُتلوا وبعدّة من أُصيب من المسلمين، وسمّىٰ من يعرف مع سعد بن عُمَيْلة الفزاري. وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح إلى انتصاف النهار عن أهل القادسية ثم يرجع إلى أهله ومنزله، فلما لقي البشير سأله من أين ؟ فأخبره، قال: يا عبد الله حدّثْني. قال: هزم الله المشركين. وعمر يخبّ معه يسأله والآخر يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة وإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، قال البشير: هلاّ أخبرتني، رحمك الله، أنك أمير المؤمنين! فقال عمر: لابأس عليك يا أخي.

وأقام المسلمون بالقادسية في انتظار قدوم البشير، وأمر عمر الناس أن يقوموا على أقباضهم ويصلحوا أحوالهم ويتابع إليهم أهل الشام ممن شهد اليرموك ودمشق ممدّين لهم. وجاء أولهم يوم أغواث وآخرهم بعد الغد يوم الفتح فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عمّا ينبغي أن يشار فيه مع نَذير بن عمرو.

وقيل: كانت وقعة القادسية سنة ست عشرة، قال: وكان بعض أهل الكوفة يقول: إنها كانت سنة خمس عشرة، وقيل إنها كانت سنة أربع عشرة[1].

الفصل الثاني
منطقة القادسية ومقترباتها
الاستكشاف الأثري من خلال المصادر التأريخية والأدبية
المبحث الأول: ميدان القادسية

تمهيد:

مما تقدم في الفصل الأول يتضح لنا أن ميدان المعركة الفعلي ينحصر في المواقع التالية، والتي اهتديت إلى معرفتها والوقوف عليها من خلال معرفة البعض بواسطة البعض الآخر. وهي على ثلاثة أقسام:

أ ـ المواقع التي بقيت مسكونة ومشغولة بالتسالم وهي تحمل نفس الاسم القديم، والتي أيّدت تسميتها ومواقعها دائرة الآثار والتراث العراقية:

الحيرة، الخورنق، الرحبة، الصنين، طيزناباذ.

ب ـ المواقع المثبتة في كتب التاريخ والمراجع القديمة والدراسات الحديثة، والتي

(١) ابن الأثير ٢: ٤٨١ـ٤٨٥.

wadod.org

تمكنت أن أقف عليها من خلال ما حصلت عليه من معلومات وطبقتها في المسح الموقعي مستعيناً ببعض الخرائط والمخططات التي رسمتها لتحديد المسافات والاتجاهات، فأصبح افتراضي لمواقعها يتحدد بنسبة ٩٠٪ كما أعتقد وهي:

الحضوض، الخندق، السواد، الظهر، العتيق، العذيب، الفيض، القادسية، قُديس، القوادس، مشرّق، المسلح.

د ـ المواقع المثبتة في كتب البلدان والتاريخ والمراجع الأخرى والتي لم أقف عليها لحد الآن، ولعل المستقبل يكشف النقاب عنها وهي:

الأقيلبة، الخص، السكرة، سيلحون، شاهي، القرّة، القنافية، الولجة.

وقد حددت المواقع المذكورة في القسمين (أ و ب) بالخارطة رقم (٣) وأهملت تحديد مواقع القسم الرابع لأني لم أقف عليها.

كما ذكرت ما ورد من معلومات عن المواقع المذكورة في (أ و ب) في هذا الفصل، مشيراً إلى ضبط إسمها ومعناها وموقعها وما قيل فيها من شعر أو نثر والمصادر التي استعنت بها، والمراجع التي ذكرتها:

القادسيّة

بفتح القاف، ثم ألف، ودال مهملة مكسورة، وياء مثناة من تحت، ثم هاء.

والقادس: هي السفينة العظيمة[١].

وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث، قال في «الأطوال» إن طولها ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة[٢].

وقيل إن طولها تسع وستون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثا درجة[٣].

وسبب تسميتها أنه مرّ بها إبراهيم عليه السلام، فرأى زهرتها، ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه، فقال: قدست من أرض ودعا لها أن تكون محلة الحاج[٤].

وقيل سميت نسبة إلى قادس هراة[٥].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٩١.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ٢: ٤٠٤.

(٣) ياقوت ٤: ٢٩١.

(٤) الفيروز آبادي: القاموس المحيط ٢: ٢٣٩/ البغدادي: خزانة الأدب ١: ٤٢٦. ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ١٧٤/ البكري: معجم ما استعجم ١: ٢٣٣. ياقوت ٤: ٢٩١ عن ابن عيينة/ الحميري: الروض المعطار ٤٤٧.

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٢٢٣/ الباكوي: تلخيص الآثار ـ مخطوط ـ الورقة ٢٨أ. القزويني:=

wadod.org

وقال ابن الكلبي فيما حكاه هشام قال: إنما سمّيت القادسية لأن ثمانية آلاف من ترك الخَزر كانوا قد ضيّقوا على كسرى بن هُرْمز، وكتب قادس هَراة إلى كسرى، إن كفيتك مؤونة هؤلاء الترك تعطيني ما أحتكم عليك ؟ قال: نعم، فبعث النريمان إلى أهل القرى: إني سأُنزل عليكم الترك فاصنعوا ما آمركم، وبعث النريمان إلى الأتراك وقال لهم: تشتّوا في أرضي العامَ، ففعلوا وأقبل منهم ثمانية آلاف في منازل أصحابه بهراة، فبعث النريمان إلى أهل الدّور وقال: ليذبح كل رجل منكم نزيله الذي نزل عليه ثم يغدو إليَّ بسلبته، ففعلوا ذلك وذبحوهم عن آخرهم وغدوا إليه بسبلاتهم فنظمها في خيط وبعثها إلى كسرى وقال: قد وفيْتُ لك فأوفِ لي بما شرطتُ عليك، فبعث إليه كسرى أن اقدمْ عليّ، فقدم عليه النريمان فقال له كسرى: إحتكم، فقال له النريمان: تضع لي سريراً مثل سريرك، وتعقد على رأسي تاجاً مثل تاجك، وتنادمني من غدوة إلى الليل، ففعل ذلك به ثم قال: أوفيتُ ؟ قال: نعم، فقال له كسرى: لا والله لا ترى هراة أبداً، فتجلس بين قومك وتحدث بما جرى، وأنزله موضع القادسية ليكون رداءً له من العرب فسمي الموضع القادسية بقادس هراة، وكان قدم عليه النريمان ومعه أربعة آلاف فكانوا بالقادسية، فلما كان يوم القادسية قرن أصحاب النريمان بن النريمان أنفسهم بالسلاسل كي لا يفرّوا فقتلهم كلهم ورجعت ابنة النريمان إلى مرو وأم النريمان بن الزيمان كبشة بنت النعمان بن المنذر.

قال هشام: فالشاه بن الشاه من ولد النريمان، وهو الشاه بن الشاه بن لان بن نريمان بن نريمان[١].

وقيل سميت نسبة إلى قديس، وكان قصراً بالعذيب[٢].

وقيل إنها كانت تسمى قديساً[٣].

وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين العرب المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص، والفرس بقيادة رستم أيام الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٤هـ وقيل ١٥هـ وقيل ١٦هـ.

وكتب سعد إلى عمر يصف له القادسية: «إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإن ما

= آثار البلاد وأخبار العباد ٢٣٩/ ياقوت ٤: ٢٩٢. وفيه مفصل قصة التسمية عن ابن الكلبي/ الحميري: الروض المعطار ٤٤٧.

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٢٩١ـ٢٩٣، انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/ ١٨٦، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص٢٣٩.

(٢) البغدادي: مراصد الاطلاع ٣: ١٠٥٤/ ياقوت ٤: ٢٩١.

(٣) ياقوت ٤: ٢٩٣.

wadod.org

عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاحٍ إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ يدعى الحضوض، يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وإن ما عن يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم»[١].

ولما تقدم جيش سعد، وتتقدمه طليعته بقيادة زهرة بن حوية «فقدم زهرة سعد حتى عسكر بعذيب الهجانات، ثم خرج في أثره حتى ينزل على زهرة بعذيب الهجانات، وقدمه فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة وقديس يومئذ أسفل منها بميل» ثم «نزل سعد القادسية فنزل بقديس، ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم»[٢].

وقد وصف بعض جغرافيي العرب القادسية فقال الأصطخري (المتوفى في منتصف القرن الرابع الهجري): «القادسية على شفير البادية، وهي مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه وزروع، ليس بالعراق بعدها ماء جارٍ ولا شجر»[٣].

وقال ابن رستة (المتوفى نحو ٣٠٠هـ/ نحو ٩١٢م): «ومن القادسية إلى العُذَيْب ٦ أميال، وهو موضع مسلحة كانت للفرس على طريق البادية، وبين العُذَيب والقادسية حائطان متصلان من جانبيهما نخيل، فإذا خرجت منه دخلت البادية»[٤].

وقال قدامة بن جعفر البغدادي (المتوفى ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م): «من الكوفة إلى القادسية خمسة عشر ميلاً، ومن القادسية إلى العُذَيب ستة أميال. العذيب كانت مسلحة بين العرب وفارس في حدّ البرية، وبها حائطان متصلان من القادسية إلى العذيب، ومن الجانبين كليهما نخل، وإذا خرج منه الخارج دخل المفازة»[٥].

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني (المتوفى ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) إن «فيها مسجد جامع وبه خطيب اسمه محمد بن الحسين الكندي» من رواة كتاب الأغاني[٦].

ويقول ابن حوقل (المتوفى ٣٦٧هـ/ بعد ٩٧٧م إنها «على شفير البادية، صغيرة، ذات نخيل ومياه، ويزرع بها الرطاب الكثيرة، ويتخذ منه القت علفاً لجمال الحاج وغيرها، وليس للعراق بعدها من ناحية البادية وجزيرة العرب ماء يجري ولا

(١) الطبري ٣: ٤٩٢/ ياقوت ٤: ٨.
(٢) الطبري ٣: ٤٩٢/ ياقوت ٤: ٤٢ـ٤٣.
(٣) المسالك ٨٣.
(٤) الأعلاق النفيسة ص١٧٥.
(٥) نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ص١٨٥ـ١٨٦.
(٦) الأغاني ٢: ٣٣/ ٢٠: ١٩٥، ٢١٠/ ٢١: ٢٠٨.

wadod.org

شجر»[١].

وقال المقدسي (المتوفى ٣٨٠هـ/ نحو ٩٩٠م): «والقادسية مدينة على سيف البادية، تعمر أيام الحاج، ويحمل إليها كل خير، لها بابان وحصن طين، وقد شق لهم نهر من الفرات إلى حوض على باب بغداد، وثم عيون غربية، وماء آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحاج، وهي سوق واحد، الجامع فيه»[٢].

ويقول أبو حيان التوحيدي (المتفوى نحو ٤٠٠هـ/ نحو ١٠١٠م: «.. وكان ذلك بلاغنا إلى القادسية، فلما دنونا منها تلقانا بشر من أهلها، وقالوا لنا: كيف سلمتم في هذه الطريق مع العوز والخوف؟ فقلنا: لطف الله يقرب كل بعيد، ويسهل كل شديد، ويصنع للضعيف حتى يتعجب القوي»[٣].

ويقول ابن جبير الرحالة عندما مر عليها في ليلة الجمعة ٢٨ محرم ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م: «القادسية قرية كبيرة فيها حدائق من النخيل»[٤].

ولما نزلها الرحالة ابن بطوطة في محرم ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م وصفها بأنها «قرية كبيرة وفيها حدائق النخل، وبها مشارع من ماء الفرات»[٥].

وقال أبو الفداء (المتوفى ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) إنها «مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه»[٦].

وقال عبد المؤمن البغدادي (المتوفى ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): «قرية قرب الكوفة، من جهة البر، بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبين العذيب أربعة أميال»[٧].

وقال القلقشندي (المتوفى ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): «مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه، وهي على حافة البادية، وحافة سواد العراق، البادية من جهة الغرب، والسواد من جهة الشرق»[٨].

وقال محمد بن عبد المنعم الحميري (المتوفى ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): وهي مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه عذبة، ويتخذ منها القت علفاً للجمال الصادرة والواردة في طريق

---

(١) صورة الأرض ٢١٥.
(٢) أحسن التقاسيم ١١٧.
(٣) الإمتاع والمؤانسة ٢: ١٥٧.
(٤) الرحلة ١٨٧.
(٥) الرحلة ١٧٦.
(٦) تقويم البلدان ٢٩٩.
(٧) مراصد الإطلاع ٣/ ١٠٥٤.
(٨) صبح الأعشى ٢: ٤٠٤.

wadod.org

الحجاز، ومنه يتزودون علوفاتهم، وهي ثغر من ثغور العراق[١].

وقال الدمشقي القرماني (المتوفى ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م): «بليدة بقرب الكوفة على سابلة الحاج، ذات نخيل ومياه كثيرة»[٢].

وقيل إن فيها (قصر القادسية) بناه سنمار وكان رجلاً من أهل فارس ويقال من الروم. لكسرى[٣] وأن فيها (نهر القادسية)[٤].

وبين القادسية والكوفة خمسة عشر فرسخاً[٥]، وبينها وبين العذيب أربعة أميال[٦]، وبينها وبين بغداد أحد وستون فرسخاً[٧].

«والقادسية والحيرة والخورنق هي على طرف البادية مما يلي المغرب، ويحيط بهما مما يلي المشرق النخيل والأنهار والزروع، وهما والكوفة في أقل من مرحلة»[٨].

ويقول أبو الفداء: إن «القادسية والحيرة والخورنق جميعها على حافة البادية، وحافة سواد العراق، فالبادية من جهة الغرب عن هذه البلاد، والنخيل والأنهار من جهة الشرق»[٩].

ويذكر الطبري: أن «في سنة ٧٦٢ـ٧٦٣م احتل ابن معقل القادسية ليمنع أهل الكوفة من مناصرة الثوار في البصرة. (اعتاد أهل الكوفة الذهاب إلى البصرة عن طريق القادسية، والعذيب، ووادي السباع، ثم يخترقون صحراء البصرة) ولم يلبث ابن معقل حتى أتاه الخبر من أهل موضع يسمى الشراف، على بعد ميلين شمالي محطة الواقصة، بأن اثني عشر رجلاً من الكوفة كانوا يخيمون في وادي السباع. فتبعهم ابن معقل، ولحق بهم عند خفان على أربعة فراسخ من القادسية، وقتلهم هناك»[١٠].

وقد نسب إلى القادسية عدة قوم من الرواة، منهم: علي بن أحمد القادسي القطّان،

---

(١) الروض المعطار ٤٤٨.
(٢) أخبار الدول وآثار الأُوَل ٤٧٠.
(٣) محمد بن حبيب البغدادي: المنمق في أخبار قريش ٣٣٩.
(٤) أبو الفرج: الأغاني ٥: ١٦٩ ط دار الثقافة. الطبري ٢: ٧٢٥.
(٥) الفرسخ: يساوي ٣كم تقريباً.
(٦) ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٩١/ ياقوت: المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ٣٣٧.
(٧) الحميري: الروض المعطار ٤٤٨.
(٨) الاصطخري: المسالك ٨٢.
(٩) تقويم البلدان ٢٩٩.
(١٠) الفرات الأوسط ١٥٩.

wadod.org

روى عن عبد الحميد بن صالح، وروى عنه جعفر بن محمد بن نصير الخلدي[١].

وأبو النعمان رستم بن أسامة الضبيّ القادسي ـ نقلاً عن ابن أبي حاتم ـ منزله القادسية، روى عن أبي الأحوص وعلي بن مسهر وأبي بكر بن عباس وأبي خالد الأحمر وعمار بن سيف وعيسىٰ بن يونس، وروى عنه أبي ـ يعني أبا حاتم ـ وكتب عنه بمكة وبالقادسية[٢].

وممن نسب إليها حكيم بن جابر من أهل القادسية، ورد في سند رواية ترجمة جابر بن طارق بن أبي طارق[٣].

والحسين بن أحمد بن محمد بن حبيب، أبو عبد الله البزار يعرف بابن القادسي[٤]

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٩٣، السمعاني: الأنساب، ط مرجليوت ص٤٣٦ب.

(٢) السمعاني: الأنساب ط مرجليوث ص٤٣٦ب.

(٣) انظر: الإصابة ١/ تسلسل ١٠٢٢.

(٤) كان عالماً محدثاً واسع الرواية، مظنون التشيع، وكان للحديث في تلك الأعصار سوق رائجة وكان يملي في جوامع بغداد الحديث ويملي في ضمن ذلك فضائل أهل البيت فلا يروق ذلك لمن يخالفه في الرأي من علماء بغداد على العادة المألوفة من التعصب الشديد بين أصحاب المذاهب هناك حتى بين الحنابلة ومن يوافقهم في أكثر الأصول فكذبوه وتعصبوا عليه وتوسلوا إلى تكذيبه بما أمكنهم حتى منعوه من التحديث في الجوامع المختصة بغير الشيعة أو التي يكثر فيها غيرهم مثل جامع المنصور وجامع المدينة وغيرهما فجعل يحدث في المساجد المختصة بالشيعة كمسجد براثا ومسجد الشرقية ولعله لم يكن شيعياً لكنه يحدث بما رواه من الفضائل التي لا يسعهم تصديقها فمنعوه من التحديث في جوامعهم فالتجأ إلى الشيعة وحدث في مساجدهم ولعله كان شيعياً في الباطن الله أعلم بحاله. وكان ممن تعصب عليه الخطيب البغدادي صاحب التاريخ وابن خيرون وابن النرسي. «أعيان الشيعة ٥/ ٤٤٧ـ٤٤٨».

قال الخطيب البغدادي:

«سمعته في جامع المدينة يقول: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك ـ إملاء ـ، حدثنا محمد بن يونس بن موسى، حدثنا أيوب بن عمر ـ أبو سلمة الغفاري ـ، حدثنا يزيد بن عبد الملك النوفلي عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم امرأة حسناء فأعجبته، فليأت أهله فإن البضع واحد، ومعها مثل الذي معها». وكان قد مكث يملي في جامع المنصور مدّة عن ابن مالك، ومحمد بن إسماعيل الوراق وأبي بكر بن شاذان، وأبي الفضل الزهري، وأبي الفضل الشيباني. فحضرته يوم جمعة بعد الإملاء وطالبته بأن يريني أصوله، فدفع إليَّ عن ابن شاذان وغيره أصولاً كان سماعه فيها صحيحاً، ولم يدفع إلي عن ابن مالك شيئاً، فقلت له: أرني أصلك عن ابن مالك؟ فقال أنا لا يشك في سماعي من ابن مالك، أسمعني منه خالي هبة الله بن سلامة المفسر المسند كله. فقلت له: لا تروين هاهنا شيئاً إلاّ بعد أن تحضر أصولك وتوقف عليها =

wadod.org

= أصحاب الحديث، فانقطع عن حضور الجامع بعد هذا القول ومضى إلى مسجد براثا فأملى فيه، وكانت الرافضة تجتمع هناك، وقال لهم: قد منعني النواصب أن أروي في جامع المنصور فضائل أهل البيت. ثم جلس في مسجد الشرقية واجتمعت إليه الرافضة ولهم إذ ذاك قوة، وكلمتهم ظاهرة، فأملى عليهم العجائب من الأحاديث الموضوعَة في الطعن على السَلف. وقال لي يحيى بن الحسين العلوي: أخرج إليَّ ابن القادسي أجزاء كثيرة عن ابن مالك فلم أر في شيء منها له سماعاً صحيحاً إلاّ في جزء منها وكتب بخط طري، وأثبت فيه سماعه وكان ابن القادسي قد حكى عنه أنه روى للشيعة أحاديث عن ابن الجعابي حدثني أبو الفضل أحمد بن الحسين بن خيرون، قال: اجتمعت مع ابن القادسي وقلت له: ويحك، بلغنا أنك حدثت عن ابن الجعابي، فمتى سمعت منه ؟ فقال ما سمعت منه شيئاً، ولكني رأيته، قال فقلت له في أي سنة ولدت ؟ فقال في سنة ست وخمسين وثلثمائة، فقلت إن ابن الجعابي مات في سنة خمس وخمسين قبل أن تولد بسنة ؟ فقال لا أدري كيف هذا، إلا أن خالي أراني شيخاً في سكة بباب البصرة وقال لي: هذا ابن الجعابي، وذلك في سنة اثنتين وستين وثلثمائة، فلعله كان رجلاً آخر. «تاريخ بغداد ٨/ ١٦ـ١٧».

وفي ميزان الاعتدال: «الحُسَيْنُ بنُ أحمدَ القَادسيُّ. عن أبي بكر بن مالك القَطيعي. كذَّبه أبو الفضل بن خيرون، وقال أبي النرسَي: كان يسمع لنفسه فيما لم يسمعه. وكان له سماع صحيح، منه جزء محمد بن يونس الكديمي، وجزء القعنبي، وأجزاء من مسند أحمد، سمعنا منه» ٢/ ٢٨٣. وذكر ما حكاه الخطيب البغدادي ملخصاً.

وفي أنساب السمعاني (ص٤٣٦ب): من المشهورين بالنسبة إلى القادسية أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن حبيب القادسي حدث عن ابن مالك وابن ماسي وأبي بكر المعيد وأبي الفضل الزهري وغيرهم وكانت له سماعات جيدة وأنشد لنفسه:

نسأل الله تعالى منه توفيقاً وخاتمة بخير

قاله ابن ماكولا. ثم يعقب صاحب أعيان الشيعة قائلاً:

«ومن ذلك يظهر أن تكذيبهم له لروايته فضائل أهل البيت وما يرونه طعناً على السلف وقد اعترف السمعاني بأنه كانت له سماعات جيدة والخطيب قد اعترف بأن سماعه صحيح في الأصول التي أراه إياها وإنما نقم عليه أنه لم يره أصله عن ابن مالك ولعله كان في أصله عن ابن مالك من الفضَائل أو غيرها ما لا يحتمله له الخطيب فلذلك امتنع عن إراءته أصله وإن كان سماعه فيه صحيحاً. وقول الخطيب أنه أملى في مسجد الشرقية العجَائب من الأَحاديث الموضوعة تخرص منه على الغيب فهو لم يسمع منه في مسجد الشرقية وما يدريه أنها موضوعة. أما ما حكاه عن يحيى العلوي من أنه غير أول الأجزاء العتق وأثبت سماعه فيها بخط طري فما الذي يدعوه لذلك وله سماع صحيح باعترافهم فإن كان لذكر فضائل أهل البيت ففضائلهم بالأحاديث الصحيحة قد ملأت بطون الدفاتر فلا يحتاَج من يسند إليهم الفضائل إلى الوضع وإنما يحتاجه من يريد إسناد الفضل إلى من هو فقير في فضله ولا يمتَنع أن تكون تلَك الأجزاء العَتق قد سمعها من شيَوخه فأثبت سَماعه لها بخط طري واحد عن واحد وأما قصة =

wadod.org

ولد سنة ٣٥٦ وتوفي يوم الأحد ١٤ ذي القعدة سنة ٤٤٧هـ.

وذكر أصحاب الفتوح أن القادسية كانت أربعة أيام: فسمّوا الأول يوم أرماث، والثاني أغواث، والثالث عماس، وليلة اليوم الرابع ليلة الهرير، والرابع يوم القادسية، وكان يوم الفتح للمسلمين.

وللقادسية حظ وافر في شعر الفتوح، لورودها في بعض كتب الأدب والتاريخ، نذكر بعضاً منها للفائدة:

قال طليحة بن خُوَيلد:

طرقتْ سُليمى أرْحُلَ الرّكبِ ... إنّي اهتديت بسَبْسَبٍ سَهْبِ
إنّي كلفتُ سُلامُ بعدكُمُ ... بالغارةِ الشعواءِ والحربِ
لو كنتِ يوم القادسية إذ ... نازلتُهم بمهنّدٍ عَضْبِ
أبصرتِ شدّاتي ومُنْصرَفي ... وإقامتي للطعنِ والضّربِ[1]

وقال بشر بن ربيعة الخثعمي:

أَلَمَّ خيالٌ من أُمَيْمَةَ مَوْهِناً ... وقدْ جَعَلَتْ إحْدَى النُّجُومِ تَغُورُ
وَنَحْنُ بِصَحْرَاءِ العُذَيْبِ وَدُونَها ... حِجَازِيَّةٌ إنَّ المَحَلَّ شَطِيرُ
فَزَارَتْ غَرِيباً نازِحاً جُلُّ مَالِهِ ... جَوَادٌ وَمَفْتُوقُ الغِرَارِ طَرِيرُ
ولا غدو إلا جَوْبُها البيدَ في الدّجى ... ومِنْ دوننا رَعْنٌ أَشَمُّ وقورُ
وَحَلَّتْ بِبَابِ القَادسيّةِ ناقَتِي ... وَسَعْدُ بنُ وقّاصٍ عَلَيَّ أَمِيرُ
وسعدٌ أميرٌ شرّهُ دون خيرِهِ ... طويلُ الشذى كابي الزناد قصيرُ
تَذَكَّرْ هَدَاكَ الله وَقْعَ سُيُوفِنا ... بِبَابِ قُدَيْسٍ وَالْمكَرُّ غَرِيرُ
عَشِيَّةَ وَدّ القَومُ لَوْ أَن بَعْضَهُمْ ... يُعَارُ جَنَاحَي طَائِرٍ فَيَطِيرُ
إذا بَرَزَتْ مِنهُم إِلَيْنَا كَتِيبَةٌ ... أَتونا بأُخرى كالجبالِ تَمُورُ

= روايته عن ابن الجعابي فالقادسي لم يكن معتوهاً حتى يروي مشافهة عن رجل مشهور مثل ابن الجعابي وقد توفي قبل ولادته بسنة والذي حكي عنه إنما هو روايته عن ابن الجعابي والرواية تكون مشافهة وبالواسطة وهو قد أنكر أن يكون سمع منه شيئاً وإنما ذكر أن خاله أراه شيخاً وقال هذا ابن الجعابي فلعله كان من نسله ولكن الرجل لما روى ما لا تحتمله عقولهم ولا يطيقون أن يرويه أحد توسلوا إلى تكذيبه بكل وسيلة ولو لم تكن صواباً والله العالم بسرائر خلقه» ٥/٤٤٨.

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢: ٣٢٠.

wadod.org

تـرى القـوم فيهـا واجمين كـأنهـم ... جمـالٌ بـأحمـالٍ لهـنَّ زفيـرُ
فَضَـارَبْتُهُـمْ حتـى تَفَـرَّقَ جَمْعُهُـمْ ... وَطَـاعَنْـتُ إنّـي بـالطِّعـانِ بَصيـرُ
وَعْمـرٌ أبـو ثَـوْرٍ شَهِيـدٌ وهـاشـمٌ ... وقَيْـسٌ ونُعمـانُ الفتـى وجـريـرُ[1]

وقال عروة بن الورد:

لقَـدْ عَلِمَـتْ عَمْـرٌو ونَبْهَـانُ أنّنـي ... أَنَـا الفـارسُ الحَـامـي إذا القـومُ أدبـرُوا
وَأنّـي إذَا كَـرّوا شَـدَدْتُ أَمـامَهُـمْ ... كـأنّـي أَخُـو قَصْبَـاءَ جَهْـمٌ غَضَنْفَـرُ
صَبَـرْتُ لأهْـلِ القـادسيّـةِ مُعْلمـاً ... ومِثْلـي إذا لَـمْ يَصْبِـرِ القِـرْنُ يَصْبِـرُ
فطـاعَنْتُهُـمْ بـالـرُّمْـحِ حتـى تَبَـدَّدُوا ... وضَـارَبْتُهُـمْ بـالسيـفِ حتـى تَكَـرْكَـروا
بِـذلِـكَ أَوصـانـي أبـي وأَبُـو أبـي ... بِـذلِـكَ أَوْصَـاهُ فَلَسْـتُ أُقَصِّـرُ
حَمَـدْتُ إلهـي إذْ هَـدَانـي لِـدِيْنِـهِ ... فَللّـهِ أَسْعَـى مَـا حَيِيـتُ وأَشْكُـرُ[2]

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

بِبـابِ القـادسيـةِ مستميتـاً ... كليـثِ أريكـةٍ يـأبـى الفـرارا
أكـر عليهـم مهـري وأحمـي ... إذا كـرهـوا الحقـائـق والـذمـارا[3]

وقال قَيْس بن هُبيرة:

جَلَبْـتُ الخيـلَ مـنْ صَنْعـاء تَـرْدِي ... بِكُـلِّ مُـدَجَّـجٍ كـاللَّيْـثِ حَـامِـي
إلـى وادي القُـرَى فَـدِيـارِ كَلْـبٍ ... إلـى اليـرمـوكِ والبَلَـدِ الشـآمِـي
فَلَمَّـا أَنْ زَوَيْنـا الـرومَ عَنْهَـا ... عَطَفْنَـاهَـا ضَـوَامِـرَ كـالجِـلاَمِ
فَـأَبْنـا القـادسيَّـة بَعْـدَ شَهْـرٍ ... مُسَـوَّمَـةً دَوَابِـرُهَـا دَوَامِـي
فَنَـاهَضْنـا هُنَـاكَ جُمُـوعَ كِسْـرَىٰ ... وأَبْنَـاءَ المَـرَازِبَـةِ العِظَـامِ
فَلَمّـا أَن رأيْـتُ الخَيْـلَ جـالَـتْ ... قَصَـدْتُ لِمَـوْقِـفِ المَلِـكِ الهُمَـامِ
فَـأضـرِبُ رأسَـهُ فَهَـوى صَـريعـاً ... بِسَيْـفٍ لا أَفَـلَّ ولاَ كَهَـامِ
وَقَـدْ أَبْلَـى الإلـهُ هُنَـاكَ خَيْـراً ... وَفِعْـلُ الخَيْـرِ عِنْـدَ اللهِ نَـامِـي
نُفَلِّـقُ هَـامَهُـمْ بِمُهَنَّـدَاتٍ ... كَـأنَّ فَـرَاشَهَـا قَيْـضُ النَّعـامِ[4]

---

(١) الدينوري: الأخبار الطوال ١٢٤ـ١٢٥/ البلاذري: فتوح البلدان ٢: ٣٢٠/ ابن دريد: الاشتقاق ٥٢٣/ أبو الفرج: الأغاني ١٥: ١٨٦/ د. هاشم الطعان: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ١٠٨، وفيه الأبيات لصاحب الديوان.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ١٢٥.

(٣) د. هاشم الطعان: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ٩٨.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال: ١٢٥/ البلاذري: فتوح البلدان ٢: ٣٢٠، ويقول إنها لقيس بن =

wadod.org

وقال عروة بن زيد الخيل:

بَـرزْتُ لأهـل القـادسيـة مُعْلِمـاً ... وما كـل مـن يَغْـشى الكـريهـةَ يُعلِـمُ
ويـومـاً بـأكنـافِ التُّخَيلـةِ قَبْلَهـا ... شَهـدتُ فلـم أبـرَح أُدمَـى وأُكلَـمُ
وأرديـتُ منهـم فـارسـاً بعـدَ فـارس ... ومـا كـل مـن يلقـى الفـوارسَ يَسْلَـمُ
وأيقنـتُ يـوم الـديلمييـن أننـي ... متى ينصرفُ وجهي عن القوم يُهزموا
فمـا رِمـتُ حتـى مَـزَّقـوا بـرمـاحهـم ... قبـائـي، وحتـى بـلَّ أقمُصِـيَ الـدمُ
مُحـافظـةً، إنـي امـرؤٌ ذو حَفيظـةٍ ... إذا لـم أجـدْ مُستـأخـراً أتقـدَّمُ[1]

وقال رجل من المسلمين:

نُقـاتِـلُ حتـى أَنْـزَلَ الله نَصْـرَهُ ... وَسَعْـدٌ ببـاب القـادسيـة مُعْصِـمُ
فـأُبْنـا وقـد آمَـت نِسـاءٌ كثيـرةٌ ... ونِسْـوَةُ سَعْـدٍ ليـسَ فيهـنّ أيِّـمُ[2]

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

لمـن الـدِيـار بـروضـةِ السـلانِ ... فـالـرقمتيـن فجـانـب الصمّـانِ

[وفيها:]

والقـادسيـة حيـث زاحـمَ رستـمٌ ... كنـا الحمـاةَ بهـن كـالأشطـانِ
الضـاربيـن بكـلِ أبيـضَ مخـذم ... والطـاعنيـن مجـامـعَ الأضغـانِ
ومضـى ربيـع بـالجنـود مشـرقـاً ... ينـوي الجهـاد وطـاعـة الـرحمـانِ
قـوم هـم ضـربـوا الجبـابـر إذ بغـوا ... بـالمشـرفيـة مـن بنـي سـاسـانِ
حتـى استبـاح قـرى السـواد وفـارس ... والسهـل والأجبـال مـن مكـرانِ[3]

وقال شاعر:

لمـا وردنـا القـادسيـ ... ـة حيـث مجتمـع الـرفـاق[4]

= المكشوح ويقال إنها لغيره.

(١) ابن الشجري: الحماسة ٧٤ـ٧٥.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ١: ٥٢/ ٥: ٢٩٩/ البلاذري: فتوح البلدان ٢: ٢١٩/ الطبري ٣: ٥٧٧، ٥٨٠/ ابن كثير: البداية والنهاية ٧: ٤٥.

(٣) د. هاشم الطعان: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ١٨٦ـ١٨٧. القالي: ذيل الأمالي والنوادر ١٤٥ـ١٤٦.

(٤) الحميري: الروض المعطار ٤٤٧.

wadod.org

النتائج:

نستخلص مما تقدم:

١ـ إن القادسية كانت في البداية قرية صغيرة، ذات نخل ومياه وزروع، تقع على شفير البادية، ليس بالعراق بعدها ماء جارٍ ولا شجر.

٢ـ تقع بين الخندق والعتيق، وعلى يسارها بحر أخضر (أرض سبخة خضراء) في جوف لاحٍ إلى الحيرة بين طريقين:

الطريق الأول: يخترق مرتفعاً تسعفه الشمس.

الطريق الثاني: يسير بمحاذاة شاطىء الحضوض حتى يصعد الأجراف الواقعة بين الخورنق والحيرة.

٣ـ بينها وبين الكوفة ٥ فراسخ[١]، وبما أن الفرسخ يساوي ٨كم فيكون ٥×٨=٤٠كم تقريباً.

٤ـ تقع على طريق الحج، وتعمر أيام الحاج، وتحمل إليها البضائع، ولها سور وحصن طين له بابان، وقد شقّ لهم نهر من الفرات إلى حوض على باب بغداد، وثم عيون غربيّة، وماء آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحاج، وهي سوق واحد، وفيها مسجد جامع وبه خطيب اسمه محمد بن الحسين الكندي.

٥ـ بقيت على حالها قرية كبيرة حتى أدركها ابن بطوطة سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤هـ.

وقد زارها من المتأخرين «الأستاذ النمساوي ألوا موزيل» فقد ذكر في رحلته التي قام بها ودوّن ما ترجمته: «دخلنا طريق الحج الجديد الذي يؤدي من الكوفة إلى مكة مارّاً بالقادسية اخترقنا أرضاً غرينية مستنقعة تتغلغل بين تلال صغيرة تقع في الجهة الغربية وصلنا إلى (غدير المقصورة) الواقع في فرع مجرى شعيب الحسيب. وكانت الحقول المحيطة به كلها مزروعة وشاهدنا إلى الجنوب الشرقي نخلة باسقة. وبالقرب منها بقايا جدران وإلى الشمال الشرقي من النخيل قامت بعض أكوام آجر قديم. وهي بقايا أبنية وبقايا بعض الحيطان. وهذا كل ما كان يمكن رؤيته من محطة الحجاج في القادسية. وقد وصلنا إليها في الساعة ٣,٣٨ بعد الزوال»[٢].

يرى موزيل أن «الطريق الشرقي كان يتابع المرتفع الضيّق الطويل الذي يمتد من القادسية نحو الشمال الشرقي»[٣].

ولدى زيارة المنطقة وما حولها والبحث فيها لمرات متكررة، وبعد إجراء تطبيق ما

(١) ورد في بعض المصادر ١٥ فرسخ لعله تصحيف، والمسافة المعقولة ما أوردناها.

(٢) الفرات الأوسط ص١٦٠ـ١٦١.

(٣) ن.م ص١٦٦.

wadod.org

ورد في المراجع التأريخية والجغرافية السابقة على الواقع توصلت إلى مايلي:

١ـ إن القادسية تشكل المثلث الذي تقع ضمنه قرية الرحبة الحالية وقصر قديس ـ سنتحدث عنه ـ وقبر محمد بن الحسن؟ والتي ما تزال أطلالها وأحجارها المتناثرة شاخصة للعيان.

وهي تقع جنوب مدينة النجف على شفير البادية، وليس بعدها ماء جارٍ ولا شجر، وبينها وبين الكوفة ٤٢كم، وبينها وبين النجف ٣٥كم، وهي على طريق الحج، وتعمر أيام الحاج في توديعهم واستقبالهم، وفيها سوق رائجة في هذا الموسم، ولها سور وحصن طين ـ وقفت على أجزاء منه بنفسي، يقع بين قبر محمد بن الحسن؟ وبين قلعة الرحبة الموجودة حالياً ـ وبقايا نهر من الفرات إلى باب بغداد، تقع على غربيه عيون ماء ـ ولا تزال ـ وفيها مسجد جامع ـ وقفت على أطلاله التي ما تزال ماثلة، وهو مشيد من اللبن والطين ـ.

ولغرض المزيد، التقيت العالم الآثاري المغفور له الأستاذ محمد علي مصطفى عام ١٩٨١ وعرضت له ما توصّلت إليه، أكّد لي هذه الاستنتاجات، وذكر أنه قام بزيارة ميدانية عام ١٩٣٨ تقريباً عندما أقام في الكوفة للعمل في موسم التنقيبات الأول في قصر الإمارة ووعدني بمرافقتي لزيارة الموقع، إلاّ أنها لم تتم.

وسنتناول البحث عن الرحبة في موضوع قابل.

قادِسّ، قُدَيْسّ

في وصف تقدم جيش سعد، حيث كانت تتقدمه طليعة بقيادة زهرة بن حوية «فقدم زهرة سعد حتى عسكر بعذيب الهجانات، ثم خرج في أثره حتى ينزل على زهرة بعذيب الهجانات، وقدمه فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة، وقديس يومئذ أسفل منها بميل» ثم «نزل سعد القادسية فنزل بقديس ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم»[١].

يتبين من هذا النص أن قديس هو بين العتيق والمكان الذي صار يطلق عليه فيما بعد القادسية، وهو مائل إلى الجنوب، حيث أن رستم لما تقدم نحو القادسية «قدم ذا الحاجب، فلما انتهى إلى العتيق تياسر حتى إذا كان بحيال قديس خندق خندقاً»[٢].

ويبدو أن المعركة نشبت بين قادس والعتيق إذ «كان صف المشركين على شفير

(١) الطبري ٣: ٤٩٤.

(٢) الطبري ١: ٢٢٦٥.

wadod.org

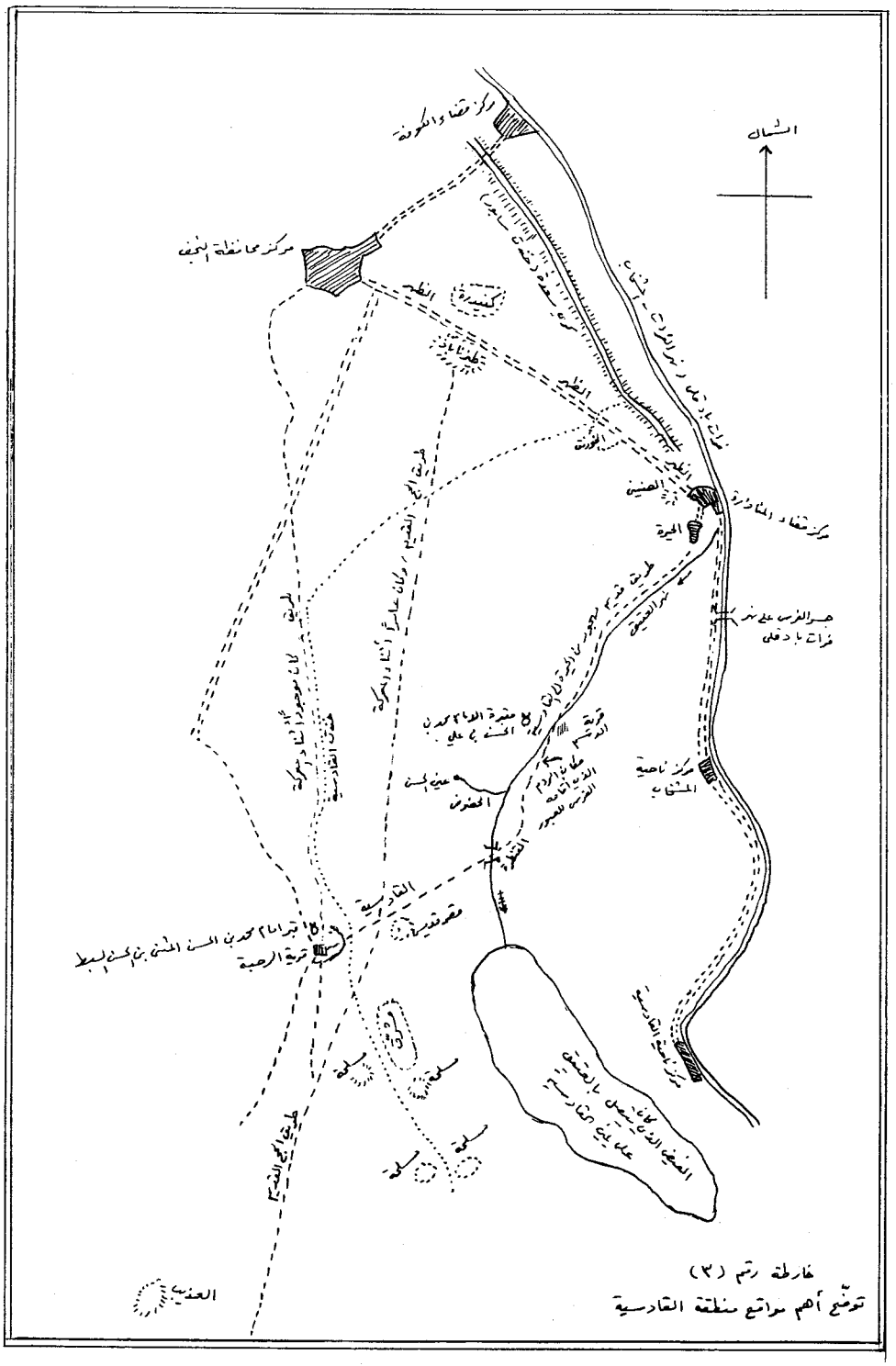

خارطة رقم (٢)
توضّح أهم مواقع منطقة القادسية

wadod.org

العتيق، وكان صف المسلمين مع حائط قديس، الخندق من ورائهم، فكان المسلمون بين الخندق والعتيق»[١] «وطبقت القتلى ما بين قديس والعتيق»[٢].

ودفن شهداء ليلة الهرير ويوم القادسية حول قديس[٣].

وقديس هو قصر للفرس سمّيت القادسية نسبة إليه[٤]. وقديس وقادس كلاهما لموضع واحد، فالأول تصغير الثاني.

قال بشر بن ربيعة:

وحَلَّتْ بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص عليَّ أميرُ
تَذكَرْ هداكَ الله، وَقعَ سيوفنا ... بباب قُدَيس والمَكرّ غَرِيرُ[٥]

وقد نسب إلى قديس، أبو إسحاق محمد بن أحمد بن إبراهيم بن جعفر العطار القديسي البغدادي[٦].

وقد جمع قادس، وقديس، والقادسية فقيل «القوادس» وقد وردت في شعر الفتوح[٧].

فقد قال القعقاع بن عمرو التميمي:

لم تعرف الخيل العِرابُ سواءنا ... عشيةَ أغواثٍ بجنب القَوادس
عشية رُحْنا بالرماح كأنها ... على القوم ألوانُ الطيور الرسارِس[٨]

وقال أبو محجن الثقفي:

وليلةَ قادسٍ لم يَشعُروا بي ... ولم أُشْعِرْ بمَخْرَجي الزُّحُوفَا
فإن أُحبَسْ فذلكُمُ بلائي ... وإن أُتْرَكْ أُذيقُهُمُ الحتوفا[٩]

وقال شاعر:

وَجدنا الأكثَرين بني تميمٍ ... غَداةَ الروْعِ أَصْبَرَهُمْ رِجالا

---

(١) الطبري ١: ٢٢٩٤، ٢٢٨٨.
(٢) الطبري ١: ٢٣٣٨.
(٣) الطبري ٣: ٥٦٥.
(٤) البغدادي: مراصد الاطلاع ٣: ١٠٥٤.
(٥) الدينوري: الأخبار الطوال ١٢٤، ياقوت: معجم البلدان ٤/ ٣١٤ وفيه «..والمكر ضرير».
(٦) ياقوت: نفس المصدر.
(٧) ياقوت ٤: ٤١٠. انظر: موضوع العذيب.
(٨) الطبري ٢: ٥٤٥/ ياقوت ٤: ٤١٠.
(٩) الطبري ٢: ٥٤٩/ الأصفهاني: الأغاني ١٨: ٢٩٤/ النويري: نهاية الإرب ١٩: ٢١٠.

wadod.org

وفيها:

تَــركــنَ لهــم بقــادِسَ عِــزّ فَخْــرٍ وبــالخيفَيْــن أيــامــاً طــوالا
مُقَطعــةً أكفُّهــمُ وسُــوقٌ بِمــردّي حيــث قــابلَــتِ الــرّجــالا[١]

النتائج:

من خلال قراءة النصوص، والزيارات المتكررة للمنطقة، وملاحظة طبيعة الواقع تبيّن أن قصر قديس الذي بناه الفرس والذي يقع أسفل من القادسية بميل، والذي سميت به القادسية هي الأطلال القائمة على بقايا أُسس بناء مربع الشكل ذو جدران وأبراج تحتل المنطقة التي يطلق عليها محلياً (تلول الرمادي).

والذي يتضح أن قلعة الرحبة الشاخصة حالياً، والتي تسمى قلعة السيد محمود الرحباوي ـ شيّدت بطابوق ومواد قصر قديس من خلال ملاحظة حجم طابوق بقايا القصر وطابوق القلعة.

العُذَيبُ

تصغير العذب، وهو الماء الطيب.

ويقع في الطرف الغربي من القادسية.

«وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وهو من منازل حاج الكوفة، وقيل هو حدّ السواد»[٢].

وقال أبو عبد الله السكوني: العذيب يُخرج من قادسية الكوفة إليه، وكانت مسلحة للفرس، بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل، وهي ستة أميال، فإذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيثة[٣].

---

(١) الطبري ٣: ٥٨٣.

(٢) ياقوت ٣: ٦٢٦ ليدن.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٩٢، انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ.
والسَّوَادُ: رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار، ولأنه تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر، كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سواداً، كما إذا رأيت شيئاً من بُعد قلت: ما ذلك السواد؟ وهم يسمّون الأخضر سواداً والسواد أخضراً.
وسواد العراق يمتد من حديثه الموصل إلى عباذان، ومن عذيب القادسية إلى حلوان.
وسواد الكوفة من كسكر إلى الزاب، وحلوان إلى القادسية. «ياقوت ٣: ٢٧٢ـ٢٧٣»
كسكر: واسط.
ويروي ياقوت (٤: ٢٥٩) عن العمراني وأبو عبد الله السكوني: أن من العذيب إلى القادسية =

wadod.org

وفي كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص: «إذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس»(١).

ويرى ياقوت في هذا النص أن هناك عذيبان، الهجانات والقوادس(٢).

ومن خلال قول السكوني إن «العذيب يخرج من قادسية الكوفة إليه»(٣) يمكن القول بأن العذيب واد ينسب شرقيه إلى القوادس وغربيه إلى الهجانات.

وكانت المنطقة الواقعة بين العذيب والقادسية عند ظهور الإسلام مجدبة ليس فيها غير نخلة واحدة «فإذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر إلى تلك النخلة قال لحامله: قد قربت من السواد، فأريحوني تحت ظل هذه النخلة، فيراح تحتها ساعة، فسمع رجل من الجرحى يقال له بجير من طيء وهو يجود بنفسه يقول:

ألا يـا اسلمـي يـا نخلـة بيـن قـادس وبيـن العـذيـب، لا يجـاورك النخـل

وسمع آخر من بني تيم الله ـ وقد أريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه ـ وهو يقول:

أيـا نخلـة الجـرعـا، ويـا نخلـة العـدا سقتـك الغـوادي والغيـوث الهـواطـل

وأثخن الأعور بن قطبة، فحمل من المعركة فسأل حماله أن يريحه تحتها، حتى إذا بلغ إليها قال:

أيـا نخلـة بيـن العـذيـب فتلعـة سقتك الغوادي الداجنات من النخل(٤)

وقيل: «دفن عندها ـ أي النخلة ـ قتلى المسلمين في القادسية»(٥).

= ستة أميال.

ويذكر الأزهري (لسان العرب ٢: ٧٥/ ٨: ٥٢) أن العذيب على مرحلة من الكوفة.

(١) الطبري ٣: ٤٩٢. والقَوَادِسُ: جمع القادسية مع ما حولها ـ القادسية، قادس، قديس ـ وقد وردت في شعرهم هكذا (انظر ياقوت ٤: ٤١٠).

قال عصام بن المقشَعِر:

لـو شَهـدتْنـي بـالقـوادس أبصـرت جـلاد امـرىءٍ إذا القـومُ أحجمـوا

أُضـاربُ بـالمخشُـوب حتـى أفلّـه وأطعـنُ بـالـرمـح المُتِـلّ وأُقـدِمُ

يرى الأستاذ النمساوي ألوا موزيل في «الفرات الأوسط ص١٦٦ هامش): أن عذيب الهجانات هو عين السيد، وعذيب القوادس هو عين النجارية.

(٢) ياقوت: ن.م ٤/ ٩٢.

(٣) ياقوت: ن.م.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٢/ ٣١٧ـ٣١٨ ط. بيروت.

(٥) الطبري ١: ٢٣١٧.

wadod.org

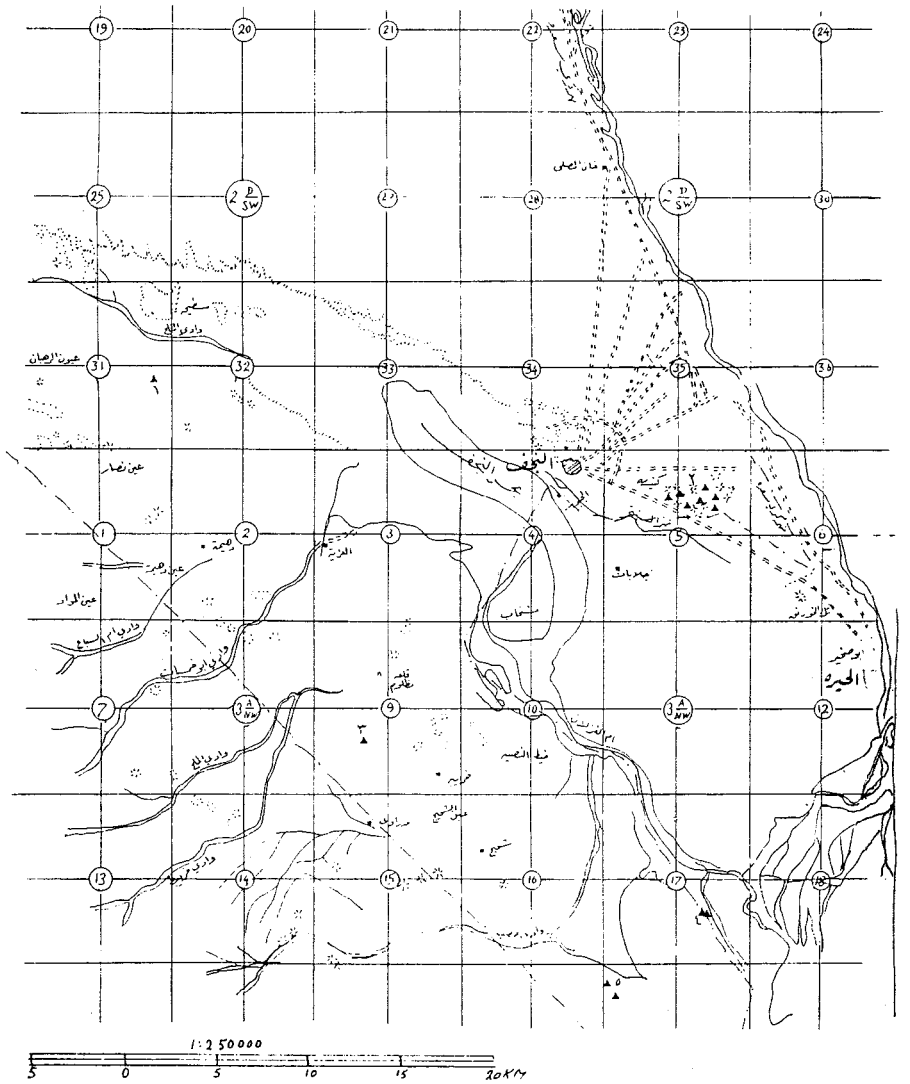

محافظة ـ كربلاء
مركز قضاء النجف
علامة الموقع الاثري ▲
علامة القرية ■

رقم الموقع	اسم الموقع
١	أثله
٢	تلول كنيدرة
٣	ظهرة (المالح)
٤	تلول الرمادي (مضيف الحسن)
٥	تلول الرمادي او القادسية

خارطة رقم (٤)، مركز قضاء النجف وآثاره، مستلة من «أطلس المواقع الأثرية في العراق»، ص ١١٠ .

wadod.org

وقد ورد ذكر العذيب في شعر الفتوح، فقد قال بدر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي:

ألـم خيـالٌ مـن أُميمـةَ مَـوْهِنـاً وقـد جعلـتْ أولـى النجـوم تغـورُ
ونحـن بصحـراء العُـذَيْـبِ ودارُهـا حجـازيّـةٌ إن المحـلَ شَطيـرُ
تحـن ببـابِ القـادسيَّـةِ نـاقتـي وسعـد بـن وقـاص عليَّ أميـرُ[١]

غير أنها ازدرعت فيما بعد، فكان بها في عهد ابن رستة (المتوفى ٣٠٠هـ/ نحو ٩١٢م) «حايطان متصلان بينهما نخل وهي ستة أميال، فإذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيثة»[٢] وفي زمن قدامة بن جعفر (المتوفى ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م) العذيب كانت مسلحة بين العرب وفارس في حدّ البرية، وبها حائطان متصلان من القادسية إلى العذيب ومن الجانبين كليهما نخل، وإذا خرج منه الخارج دخل المفازة»[٣].

وفي زمن المسعودي (المتوفى ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) «بها نخل كثير»[٤].

ويصفه الرحالة ابن جبير وقد اجتازه يوم الخميس ٢٧ محرم ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م بأنه «واد خصيب، وعليه بناء، وحوله فلاة خصيبة، فيها مسرح للعيون وفرجة»[٥].

كما نزله الرحالة ابن بطوطة في محرم ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م ووصفه «بأنه واد مخصب، عليه عمارة، وحوله فلاة خصيبة، فيها مسرح للبصر»[٦].

وهي على طريق الحج، وقد مر منها عدد غير قليل[٧].

وقد كانت العذيب للمناذرة، حيث كان بها هجائن النعمان ترعى هناك[٨].

وكانت عند الفتح الإسلامي مسلحة للفرس[٩] وقد وجد فيها المسلمون رماحاً ونشاباً وأسفاطاً من جلود وغيرها[١٠].

وقد كان فيها قصر اتخذه سعد مقراً له يشرف منه على معركة القادسية[١١].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢/ ٣٢٠ـ٣٢١.
(٢) الأعلاق النفيسة ١٧٥.
(٣) الخراج ١٨٥ـ١٨٦.
(٤) مروج الذهب ٢: ٢٣٦.
(٥) الرحلة ١٨٧.
(٦) الرحلة ١٧٦.
(٧) الطبري ٢: ٣٠٥، ١٠٧٢، ١٣٨٠، ١٦٧٧/ ٣: ٤٥٦.
(٨) الطبري ٢: ٣٠٢.
(٩) الطبري ١: ٢٢٣١.
(١٠) الطبري ٣: ٤٩٣.
(١١) الطبري ١: ٢٣٥١/ المسعودي: مروج الذهب ٢: ٣١٧/ البغدادي: مراصد الاطلاع ٣: ١٠٥٤.

wadod.org

وقد وضع في هذا القصر النساء وعين لها مفرزة من الخيالة تحميها[١].

نستخلص مما تقدم أن العذيب:

١ـ ماء بين القادسية والمغيثة.

٢ـ بينه وبين القادسية أربعة أميال وقيل ستة.

٣ـ بينه وبين المغيثة ٣٢ ميل.

٤ـ من منازل حاج الكوفة.

٥ـ كانت مسلحة للفرس قريبة منه.

ولـدى إجـراء المسـح الميـدانـي، ومـلاحظـة الفقـرات أعـلاه، مقـاسـة وحسـب الاتجاهات، اتضح أن المنطقة المسماة بـ (بركة زبيدة) هي (العذيب) نفسها، وقد نسبت إلى السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد، لما أجرته من تعميرات وتصليحات على بركة المياه الواقعة بالموقع نفسه، وقد صرفت على ذلك مبالغ طائلة، لذلك أطلق اسمها على عدة أماكن في طريق الحج لخدماتها الجلى في هذا الميدان.

الرُحْبَةُ

بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحّدة.

وفي اللغة: الرُحب، بالضم: السعة، والرَحب بالفتح: الواسع[٢]. فيكون معناها: الأرض الفسيحة الواسعة.

قرية بحذاء القادسية، على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة[٣].

وقال السكوني: «ومن أراد الغرب دون المغيثة خرج على عيون طف الحجاز، فأولها عين الرحبة وهي القادسية على ثلاثة أميال ثم عين خفية[٤] وبين خفان والقادسية ستة أميال»[٥].

ووصفها ابن جبير عند مروره بها في يوم الخميس ٢٧ محرم ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م «ووصلنا إلى الرحبة وهي بمقربة منه ـ العذيب ـ وفيها بناء وعمارة ويجري الماء فيها من عين نابعة في أعلى القرية المذكورة»[٦].

---

(١) الطبري ١: ٢٢٣٢.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣: ٣٣. (المتوفى ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر ٢: ٧٦٢.

(٥) المسعودي: التنبيه والإشراف ٣٣٨.

(٦) الرحلة ١٨٧.

wadod.org

إلاّ أنها فيما بعد «خربت لكثرة طروق العرب لأنها في ضفة البرّ ليس بعدها عمارة»[١].

زارها الأستاذ النمساوي ألوا موزيل، ودوّن عنها ما يلي:

«إلى الجنوب الغربي ظهرت قلعة الرحبة المعروفة بقصر السيد [محمود الرحباوي]. وقد وصلنا إليها بعد مرورنا بحقول زراعية خصبة، ونصبنا الخيام في الجانب الشمالي منها.

وقلعة الرحبة لا يسكنها غير الفلاحين وتوجد خارج الباب الشمالي بعض الأكواخ ومزرعة صغيرة.

وقد ذهبنا ـ أنا ومرافقي ـ إلى مشهد ابن حسن على مرتفع قريب، حيث استطعنا من هناك أن نرسم خريطة للمنطقة المجاورة. وإلى شمال الشمالي الغربي، على نحو ثلاثة كيلومترات من المشهد، يقع قصر التجارية في خليج صغير من السهل الفيضي. وإلى الغرب منه يتدفق ينبوع غزير يحمل نفس الاسم. وثمة ينبوع أكثر غزارة منه يسمى عين السيد يقع على نحو أربعة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من الرُّحبة، ويجري منه نهر كبير في ساقية عميقة إلى الرحبة يروي مزارعها»[٢].

ثم بدأت بعد ذلك بالتطور الذي جعلها تصبح ناحية تابعة لقضاء النجف في عام ١٢٩٤هـ/١٨٨٧م، حيث أن أكثر الدور فيها شيّدت من أنقاض قصر قديس والقادسية، وبقيت حتى عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣حيث ألغيت عنها هذه الدرجة. ثم أعيدت بعد ذلك بدرجة ناحية.

ونظراً لتغير طريق الحج البري (النجف ـ السعودية)، حيث أصبح (النجف ـ الرهيمة.. السعودية) أخذت الرحبة تتضاءل شيئاً فشيئاً حتى ألغيت عنها هذه الدرجة حديثاً وعادت قرية تابعة لمركز قضاء النجف..

مُشَرِّقٌ

بضمّ أوله، وفتح ثانيه، وتشديد الراء، وكسرها.

وادٍ بين العُذَيب وعين شمس. في عَدْوَتَيْه الدنيا منهما إلى العذيب، والقصوى منهما من العذيب ومن عين شمس. دفن فيهما شهداء يوم القادسية من المسلمين[٣].

حيث أن بين «العذيب والقادسية عين شمس[٤] وهو ماء يجري بينه وبين العذيب

(١) ياقوت ٣: ٣٣. توفي ياقوت سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م.
(٢) الفرات الأوسط ١٦٢ـ١٦٤.
(٣) ياقوت: معجم البلدان ٥: ١٣٣.
(٤) ياقوت ٣: ٧٦٣.

wadod.org

وادي مشرق[١] دفن فيه عدد من شهداء القادسية[٢] ما كان قبل ليلة الهرير[٣] وبحياله دفن ألفان وخمسمائة من شهداء القادسية[٤] وهو آخر أيام المعركة.

وقد قال شاعر في نقل سعد إياهم إلى هنالك:

جزى الله أقواماً بجنب مشرّق غداة دَعا الرحمن من كان داعيا
جناناً من الفردوس والمنزل الذي يحلّ به م الخير من كان باقيا[٥]

يرى لوموزيل: «إن وادي مشرق هو الأراضي المنخفضة التي بين عين السيد وعين النجارية»[٦].

وخلاصة ذلك أن مُشَرِّق:

١ـ وادٍ بين العذيب وعين شمس.

٢ـ مدفن لشهداء ما قبل ليلة الهرير.

وانطلاقاً من الفقرتين أعلاه فقد قمت بمسح المنطقة المؤشرة في بداية البحث، وبعد إجراء المقاسات المطلوبة، وقفت على موقع تيقّنت أنه هو (مشرّق) كتل من الحجر متقاربة ومرصوفة بشكل مجاميع غير نظامية، تشبه مقابر مكة والمدينة وأُحد في العصور الإسلامية الأولى، وقد سألت الرحل المجاورين لسفح الواد هذا فأجابوا بأنها مقبرة تتبع لأحداث معركة القادسية وفيها بعض الشهداء، وإنهم علموا ذلك من آبائهم وأجدادهم بالتسالم.

وهناك أدلّة أخرى كثيرة تؤيد ذلك لا مجال لذكرها.

الخَنْدَقُ

من خلال وصف سعد لطبيعة أرض القادسية «إن القادسية بين الخندق والعتيق»[٧]، ووصف تقدم جيش سعد، حيث كانت تتقدمه طليعة بقيادة زهرة بن حوية «فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق..»[٨].

---

(١) ياقوت ٤: ٥٣٩.
(٢) ياقوت ٤: ٥٣٩/ الطبري ١: ٢٣٠٤.
(٣) الطبري ٣: ٥٦٥.
(٤) ياقوت ٤: ٥٣٩/ الطبري ٣: ٥٦٥.
(٥) ياقوت ٥: ١٣٣.
(٦) الفرات الأوسط ص١٦٧ هامش.
(٧) الطبري ٣: ٤٩٠ـ٤٩٣/ ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٩٢.
(٨) الطبري ١: ٢٢٣٣ ط دار المعارف/ ياقوت: معجم البلدان ٤: ٤٢ـ٤٣.

wadod.org

يتضح لنا جلياً أن الخندق يقابل العتيق من الجهة الأخرى وتقع بينهما القادسية، أي أنه يقع إلى الغرب من منطقة القادسية ويمتد بطول العتيق موازياً له من الشمال إلى الجنوب[١].

ويؤكد ذلك اصطفاف المسلمين مع حائط قديس، والخندق من ورائهم[٢] فيكون الخندق غربي قديس، أما العتيق فنظراً لأن الفرس كانت مصطفة فيه في القادسية[٣] فمعنى ذلك أنه كان شرقي القادسية.

والواقع أن مكان القادسية التي جرت فيها المعركة «بين الخندق والعتيق»[٤].

ولدى قيامي بمسح شامل لميدان القادسية وملاحظة بعض الشواهد التي تدلل على المنطقة، وملاحظتي لخندق تنطبق عليه كافة المواصفات والمقاسات أعلاه، ويمكن اعتباره هو (خندق القادسية)[٥]، ولكن الإشكال في أن هذا الخندق هل هو من ملحقات (خندق سابور)[٦] أو من فروعه ـ فيما إذا كانت له فروع ـ كما ذهب البعض ؟

هذا التساؤل يدعونا لأن نضع في تصوراتنا أن من الأهداف العسكرية التي من أجلها حفر خندق سابور أن يكون حاجزاً بين العرب المسلمين في الجزيرة، والفرس المحتلين الذين كانوا مستوطنين في الجهة الأخرى منه بالعراق، وقد وضعوا عليه مسالحهم ومناظرهم التي شاهدتها وصوّرتها.

فالأغراض والأهداف التي من أجلها وضع خندق سابور تنطبق على هذا الخندق.

أما الاختلاف الحاصل فإنه يكمن في شكل الخندق، الذي ينعدم فيه الكتفان الترابيان الموجودان على جانبي خندق سابور الممتد من هيت حتى الخليج، ولعل انعدامهما نتيجة للظروف المناخية والطبيعية التي جعلت قسماً من خندق سابور عديم الأكتاف[٧]، أما جعل الخندق ـ موضوع البحث، وكما شاهدته ـ يشكل شقاً أرضياً ـ عميقاً في بعض الأماكن ـ يخترق تلك المنطقة، وقد ساعدت السيول هي الأخرى في

---

(١) صالح مهدي عماش: من ذي قار إلى القادسية ١٦٧.

(٢) الطبري ١ : ٢٢٩٤ ط دار المعارف.

(٣) الطبري: المصدر نفسه.

(٤) الطبري ١ : ٢٢٣٠، ٢٢٣٨، ٢٢٤٠ ط دار المعارف/ ياقوت ٤ : ٨.

(٥) الطبري ١ : ٢٥٤٣ ط دار المعارف.

(٦) صالح مهدي عماش: من ذي قار إلى القادسية ١٦٧، دون أن يشير الأستاذ عماش إلى الأدلة التي اعتمد عليها في تأكيد ذلك.

(٧) كما لاحظت ذلك في قسمه الموجود بمنطقة الكوفة قرب معمل السمنت، وناحية الحيدرية بالقرب من حقول الدواجن وفي طريق كربلاء ـ النجف بأماكن متقطعة.

wadod.org

تعميقه، وعلى جانبيه تتوزع المسالح والمناظر منها ما شيد بالآجر والجص أو بالحجر واللّبن والطين، وتتوزع بينها معامل للطابوق هنا وهناك، وما زالت آثارها ماثلة للعيان، شُيّدت بها المسالح والمناظر القريبة المنتشرة.

نستنتج مما تقدم أن هذا الخندق هو غير خندق سابور، فهو طبيعي ولعل هناك تعديلات أو تصليحات أُجريت عليه من قبل الفرس. أما خندق سابور الممتد من هيت حتى الخليج فهو خندق قائم بذاته ولعله خط ثان للحيلولة دون تجاوز العرب.

العَتِيقُ

هو مجرى جاف للفرات حيث كان يجري فيه قبل الإسلام[١].

وقد ذكره شيخ الربوة الأنصاري (المتوفى ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) قائلاً: «والموضع الذي كان يجري فيه [نهر الفرات] إلى آخر وقت يُعرف بالعتيق، وعليه كانت وقعة القادسية»[٢].

ونظراً لأن الفرس كانت مصطفة فيه في القادسية[٣] فمعنى ذلك أنه كان شرقي القادسية، ويبدو أنه كان مجرى نهر، لأنه «لما أراد رستم العبور أمر بسكر العتيق بحيال قادس، وهو يومئذ أسفل منها مما يلي عين شمس، فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً، واستتم بعد ما ارتفع النهار»[٤].

وبقي «يعرف هذا الموضع بـ (العتيق) حتى آخر وقت»[٥].

يقول الأستاذ النمساوي ألوا موزيل: «ولعل العتيق هو ذلك النهر القديم نصف المطمور الذي يتصل بالسدّ [الخندق] عند طرف البساتين[٦].

ومن خلال المسح الميداني للمنطقة اتضح أن مجرى العتيق هو نفس مجرى نهر الهاشمي اليوم، والذي تقع عليه حالياً قرية الدسم التابعة لناحية الحيرة ـ قضاء المناذرة ـ محافظة النجف، وينتهي هذا في المستنقع الكبير المعروف (هور صليب) كما كان ينتهي العتيق[٧].

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ١: ١٠٣.
(٢) نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر ص٩٤.
(٣) الطبري ١: ٢٢٩٤.
(٤) الطبري ١: ٢٢٨٦.
(٥) الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ٩٤. (توفي ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م).
(٦) الفرات الأوسط ١٦٦.
(٧) انظر: صالح مهدي عماش: من ذي قار إلى القادسية ١٦٨.

wadod.org

المَسْلَحُ

بالفتح، ثم السكون، وفتح اللام، والحاء مهملة.

قال ابن شمّيل: مسلحة الجند خطاطيف لهم بين أيديهم ينفضون لهم الطريق، ويتجسسون خبر العدو، ويُعلِمون لهم علمهم لئلا يُهجم عليهم، ولا يدعون أحداً من العدو يدخل بلاد المسلمين، وإن جاء جيش أنذروا المسلمين، والواحد مسلّحي[١].

وفي الميدان الحربي للقادسية توجد مسالح ومناظر كثيرة مشيدة من الطابوق والحجر والجص واللبن والطين، خصوصاً على جانبي الخندق، وبقرب منطقة مشرّق اثنان من هذه المسالح، ما زالت آثارها شاخصة للعيان.

الحُضُوضُ

وقد وردت أحياناً في بعض المراجع (الخصوص) ولعل الخصوص موضع غيره أو قريب منه.

والحضوض الذي ورد في كتاب سعد إلى عمر يصف له موقعهم في القادسية: «إن القادسية بين الخندق والعتيق، وأما عن يسار القادسية بحر أخضر، في جوفٍ لاحٍ إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الحضوض، يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وما عن يمين القادسية إلى الولجة، فيض من فيوض مياههم»[٢].

وكما يبدو من هذا الوصف أنه نهر كان بين الحيرة والقادسية[٣]. وهو شمال القادسية. وقيل «إنه بالحيرة بالقرب من الكوفة»[٤].

ويذكر موزيل أن بقايا الحضوض لا تزال موجودة، وفي الإمكان رؤية بقايا نهر الحضوض عند اللحف الشمالي الشرقي من المرتفع الضيق الطويل الذي يمتد من القادسية نحو الشمال الشرقي (أي الطريق الثاني)[٥].

وقد ورد ذكر الخُصوص في قول عدي بن زيد العبادي:

أبلـغ خليلـي (عَبْـدَ هنْـدٍ) فـلا ... زلـتَ قـريبـاً مـن سـواد الخُصُـوصْ

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٥: ١٢٨ـ١٢٩.

(٢) الطبري ٣: ٤٩٢.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢: ٢٨٩/ ٤: ٨.

(٤) الزبيدي: تاج العروس ١٧: ٥٥٥.

(٥) A.Musil. Middle Euphrates pIII.

wadod.org

مُوازيَ القَورةِ أو دونها غير بعيد من عُمَيْرِ اللُّصوُصْ[١]

ويبدو أنها كانت منطقة عامرة، ومركزاً صناعياً. فيروي ياقوت والفيروز آبادي أنه «ينسب إليها الدنان فيقال دن خصي»[٢].

يتضح من ذلك:

١ـ أن هناك طريق يوازي الطريق المذكور على (الظهر) باعتبار أن هذا البحر الأخضر وهي المزارع الكثيفة والتي تتخللها المياه الوافرة مما أعطتها لوناً أخضراً اصطلح عليه سعد بأنه البحر الأخضر.

إن هذا الطريق هو كتف شاطىء الحضوض.

٢ـ يشير بنفس الكتاب بأن هذا الطريق يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة.

٣ـ أجمع المؤرخون والجغرافيون بأن الحضوض نهر كان بين الحيرة والقادسية. ولدى إجراء المسح الميداني نستنتج بأنه ليس هناك سوى أطلال نهر قديم يتمتع بنفس المواصفات التي أوردها سعد في كتابه إلى عمر، يأخذ مياهه من نهر الهاشمي اليوم والذي نفترض بأنه هو النهر العتيق نفسه، وينتهي إلى الأطلال المسماة (عين الحسن) والتي أظنها من مواقع منطقة القادسية.

ويمكن افتراض ذلك بنسبة عالية بأنه هو نهر الحضوض.

الفَيضُ

في وصف سعد لمنزله في القادسية: «.. وإنما عن يمين القادسية فيض من فيوض مياههم»[٣].

ومن خلال المسح الميداني للمنطقة، واستشهاداً بالمواضع الأخرى لمنطقة القادسية اتضح أن الفيض المقصود هو (هور صليب) الموجود حالياً والذي تتجمع فيه فيوض ماء الفرات، ويقع بالقرب من قرية الدسم التابعة إلى ناحية الحيرة، وهو بينها وبين منطقة القادسية.

وقد أورد ياقوت أن بين الولجة والقادسية فيض من فيوض مياه الفرات[٤].

وهذا يؤكد أن (هور صليب) هو الفيض المقصود.

---

(١) ياقوت ٢: ٣٧٥/ ٤: ٣٣٥/ محمد جبار المعيبد: ديوان عدي بن زيد العبادي ٦٨.

(٢) ياقوت ٢: ٤٤٩/ الفيروز آبادي: القاموس المحيط ٢: ٣٠١.

(٣) الطبري ٣: ٤٩٢.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٥: ٣٨٣.

wadod.org

الوَلْجَة

موضع بأرض العراق عن يسار القاصد إلى مكة من القادسية، وكان بين الولجة والقادسية فيض من فيوض مياه الفرات[١].

«يمتد إليها سهل فيضي حسن الري يأتي من يمين القادسية»[٢].

ويرى لوموزيل أن البحث عن الولجة عند عين [ضاحك] الحالية. لأن السهل الفيضي تغمره المياه في موسم الفيضان حتى هذا الموضع[٣].

وهذه دلالة واضحة على أن الولجة تقع قرب الحيرة من جهة البر، خلف (هور صليب) المعروف قديماً بـ (الفيض).

الصِّنِّين

بكسر الصاد المهملة، والنون المشددة، بعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين في تحتها، وآخره نون[٤].

بلفظ تثنية الصِّنّ، وهو شبه السِّلّ، والعامة يفتحونه، يجعل فيه الطعام يعمل من خوص النخل.

والصنين يوم من أيام العجوز[٥].

موضع من ناحية الكوفة[٦] يقع بالقرب من السيلحين[٧].

وقيل «هو بلد بظاهر الكوفة، كان من منازل المنذر، وبه نهر ومزارع، باعه عثمان بن عفان من طلحة بن عبيد الله، وكتب لَهُ كتاباً مشهوراً، مذكوراً عند المحدثين»[٨].

وقيل إن سجن النعمان بن المنذر كان هناك، وقد سجن فيه الشاعر عدي بن زيد العبادي عندما غضب عليه، حيث يذكر أبو الفرج إن النعمان «أرسل ذات يوم إلى عدي بن زيد فأبى أن يأتيه، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه، وقد كان النعمان شَرِب فغضب

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) انظر: لوموزيل ص١٦٦ الهامش.
(٣) ن.م ص١٦٧ هامش.
(٤) ابن الأثير: الكامل ٢: ٤٨٥.
(٥) ياقوت: معجم البلدان ٣: ٤٣١.
(٦) ابن الأثير: الكامل ٢: ٤٨٥.
(٧) الطبري ١: ٢٢٣٢.
(٨) ياقوت ٣: ٤٣١، وأضاف ياقوت إن الكتاب أعلاه «وجدت نسخته سقيمة فلم أنقله».

wadod.org

وأمر به فسحب من منزله حتى انتهى به إليه، فحبسه في الصنين، ولجّ في حبسه. وعدي يرسل إليه بالشعر، فمما قاله له:

ليسَ شيءٌ على المنونِ بباقِ ... غيرُ وجه المسبَّح الخَلاَّقِ
إن نَكُنْ آمِنينَ فاجأنا شَرٌّ ... مُصيبٌ ذَا الوُدِّ والإشفاقِ
فبرىء صدري من الظلم للرَّبّ ... وحِنثٍ بِمُعْقَدِ الميثاقِ
ولقد ساءني زيارةُ ذي قُرْبى ... حبيبٍ لوُدّنا مُشتاقِ
ساءه ما بنا تَبَيَّنَ في الأ ... يدي وإشناقُها إلى الأعناقِ
فاذهبي يا أُمَيمَ غيرَ بعيدٍ ... لا يُؤَاتي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ
وأذهبي يا أُمَيمَ إن يشأ اللـ ... ـهُ يَنفِّسْ مِنْ أَزْم هذا الخِناقِ
أَو تكنْ وُجهةٌ فتلكَ سبيلُ النا ... س لا تَمنعُ الحتوفَ الرَّواقي
وتقولُ العُداةُ أَودَي عديٌّ ... وبنوه قد أيقنوا بغَلاَقِ
يا أبا مُسْهِرٍ فأبلغْ رسولاً ... إخوتي إن أتيتَ صَحْنَ العِرَاقِ
أبلِغَا عامراً وأبلِغْ أخاه ... أنّني مُوثقٌ شديدٌ وَثاقي
في حديد القِسْطَاس يرقُبني الحا ... رسُ والمرءُ كلَّ شيءٍ يُلاَقي
في حديدٍ مُضَاعَفٍ وغُلُولٍ ... وثيابٍ مُنَضَّحاتٍ خِلاَقِ
فاركبُوا في الحرام فُكُّوا أخاكم ... إنَّ عِيراً قد جُهِّزَتْ لانطِلاقِ

وأورد له صاحب الأغاني شعراً كثيراً في هذا السجن[1].

وقد ورد ذكر الصنين في مقطوعة شعرية لحنين بن بلوع الحيري:

ليت شعري متى تخبّ بي النا ... قة بين السير والصنين
محقباً ركوةً وخبز رقاقٍ ... وبقولاً وقطعةً من نونِ
لستُ أَبغي زاداً سواها من الشا ... م وحسبي عُلالةٌ تَكْفيني
فإذا أبت سالماً قلت: سُحْقاً ... وبِعاداً لمعشرٍ فارقوني[2]

وفي معركة القادسية «لما نزل زهرة بن حوية في مقدمة جيش سعد وأمسىٰ، بعث سرية في ثلاثين معروفين بالنجدة، وأمرهم بالغارة على الحيرة، فلما جاوزوا السيلحين سمعوا جلبة فمكثوا حتى حاذوهم، وإذا أخت آزادُمَرْد بن آزاد به مرزبان الحيرة[3] تُزَف

(١) الأغاني ط دار الكتب ٢: ٩٧ـ١١٩.
(٢) الأغاني ط دار الكتب ٢: ٣٦٠.
(٣) المرزبان: بضم الزاي، أحد مرازبة الفرس: وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك وهو فارس معرّب.

wadod.org

على صاحب الصنين، وهو من أشراف العجم، فحمل بكر بن عبد الله الليثي أمير السرية على شيرزاد بن آزادبه فدّق صلبه وطارت الخيل على وجوهها، وأخذوا الثقال وابنة آزادبه في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم ما لا يدرى قيمته، فاستاق ذلك ورجع فصبح سعد بعذيب الهجانات فقسم ذلك على المسلمين»[١].

ومن هذا النص نستدل على أن الصنين يقع بعد السيلحين والحيرة، وموقعه اليوم يشكل تل كبير يقع في بحر النجف، في نهاية بساتين النخيل الواقعة في غربي نهر البديرية بالحيرة (على بعد ١٠كم تقريباً شرق ناحية الحيرة)، وبالقرب منه قرية منسوبة إليه، كانت في السابق داراً للسيد حسين زوين المتوفى سنة ١٢٩٧هـ ويسكنها اليوم أفراد عشيرة الجبور. والأراضي المحيطة بتل الصنين المذكور تعرف بالنسبة إليه أيضاً[٢].

الخُصُّ

في اللغة هو البيت من القصب، وللفزاري:

الخُـــصُّ فيـــه تَقَـــرُّ أَعْيُنُنَـــا خَيْـــرٌ مـــن الآجُـــرِّ والكَمَـــدِ[٣]

وقيل هو حانوت الخمار وإن لم يكن من قصب، ومنه قول امرىء القيس:

كـــأنّ التِّجّـــارَ أَصْعَـــدوا بِسَبِيئَـــةٍ مِنَ الخَصّ حتى أنزَلوها على يُسُرْ[٤]

وقال عدي بن زيد العبادي:

تـــأكـــل مـــا شئـــت وتعتلّهـــا حَمْـــراء مـــن خُـــصٍّ كَلـــوْن الفُصـــوص[٥]

وهي قرية قرب القادسية[٦] ولعل سبب تسميتها بهذا الاسم لوجود حانة خمر فيها، في السواد الواقع قرب القادسية، وما أكثر الحانات في تلك المنطقة وقتئذٍ، كما يتضح من النصوص أعلاه.

الأُقَيْلِبَةُ

بضم الهمزة، وفتح القاف، وياء ساكنة، وكسر اللام، وباء موحّدة.

في كتاب الفتوح: ولما نزل سعد بالقادسية أنزل بكر بن وائل القُلْبَ، وهي تدعى

---

(١) ابن الأثير: ٢: ٤٥٤.
(٢) حمود الساعدي. أمكنة تاريخية مج العدل النجفية س١ ع١٥ ص١٦.
(٣) الجوهري: الصحاح [الخص]/ ابن منظور: لسان العرب [الخص].
(٤) الزبيدي: تاج العروس ١٧: [الخص]/ ديوان امرىء القيس ٩٩.
(٥) ياقوت ٢: ٣٧٥/ محمد جبار المعيبد: ديوان عدي بن زيد العبادي ٦٩.
(٦) ياقوت ٢: ٣٧٥.

wadod.org

الأُقيلبة، فاحتفروا بها القُلْبَ بين العذيب وبين مطلع الشمس[١].

عين شمس

. . وبين العذيب والقادسية عين شمس[٢] وهو ماء يجري بينه وبين العذيب وادي مشرق[٣].

ومن هذا يتضح لنا أن وادي مشرق يمر بين عين شمس والعذيب، وهي تقع بين العذيب والقادسية.

مواضع قرب القادسية

ذكرت المصادر بعض الأماكن، وأشارت أنها قرب القادسية، دون أن تحدد مواقعها، ومنها:

١ـ **خريم**: ماء قرب القادسية[٤].

٢ـ **الرقراقة**: ماءة قرب القادسية، نزلها جيش أمام القادسية[٥].

٣ـ **السُكَرّةُ**: ماء قرب القادسية، نزله بعض جيش سعد أيام الفتوح[٦].

٤ـ **شاهِي**: موضع قرب القادسية:

كان شريك بن عبد الله على قضاء الكوفة، فخرج يتلقى الخيزران، فبلغ شاهي، وأبطأت الخيزران فأقام ينتظرها ثلاثاً فيبس خبزه فجعل يبلله بالماء. فقال العلاء بن منهال:

فإن كان الذي قد قلت حقاً ... بأن قد أكرهوك على القضاءِ
فما لك موضعاً في كل يوم ... تلقى من يحجّ من النساء
مقيماً في قرى شاهي ثلاثاً ... بلا زادٍ سوى كِسَرٍ وماءِ[٧]

٥ـ **الصوأر**: موضع على أربعة أميال من القادسية عرضاً في البر[٨].

٦ـ **القُرَّةُ**: قرية قريبة من القادسية، قيل إنها دير القرّة.

---

(١) ياقوت الحموي/ معجم البلدان ١: ٢٣٩.
(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣: ٧٦٣.
(٣) ياقوت ٤: ٥٣٩.
(٤) ياقوت ٢: ٤٣١.
(٥) ياقوت ٢: ٨٠٠/ ٤: ١٨١.
(٦) ياقوت ٣: ٢٣١.
(٧) ياقوت ٣: ٣١٦.
(٨) المسعودي: التنبيه والأشراف ٣٢٥.

wadod.org

قال عدي بن زيد العبادي:

أبلـــغ خليلـــي عنـــد هنـــد فـــلا زلـــتَ قـــريبـــاً مـــن سَـــواد الخُصـــوصِ
مُـــــوازيَ القـــــرّة أو دونهـــــا غيـــر بعيـــد مـــن عُميـــر اللصـــوصِ[١]

٧ـ القُنَافِيَةُ: ماءة قرب القادسية، نزلها جيش أمام القادسية[٢].

المبحث الثاني: مواضع في شرق القادسية

أما الأماكن التي كانت شرقي القادسية فنجد أبرزها مذكورة في وصف حركات تقدم الجيش الساساني نحو ميدان القادسية.

فيروي الطبري أن رستم خرج «ونزل بحيال دير الأعور، ثم انصبّ إلى الملطاط، فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف، بحيال الخورنق إلى الغريين»[٣]. ثم «أمر الجالنوس أن يسير من النجف، فسار في المقدمات فنزل فيما بين النجف والسيلحين، وارتحل رستم فنزل النجف»[٤] «ورأى رستم أن ينزل من العتيق والنجف»[٥] «فإذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب، فارتحل الجالينوس، فنزل ذو الحاجب منزله، والجالنوس يريد طيزناباد فنزل بها»[٦] «فلما أصبح رستم من الغد من يوم نزل السيلحين قدم الجالنوس وذا الحاجب، فارتحل الجالنوس فنزل من دون القنطرة.. ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباد، ونزل رستم منزل ذي الحاجب بالخرارة، ثم قدم ذا الحاجب، فلما انتهى إلى العتيق تياسر حتى إذا كان بحيال قديس خندق خندقاً، وارتحل الجالنوس فنزل عليه.. فلما انتهى رستم إلى العتيق وقف عليه بحيال عسكر سعد.. ثم صعد القنطرة»[٧].

يتبين من هذا الوصف المتقدم أن محطات الجيش الساساني هي من الشرق إلى الغرب وكما يلي:

[دير الأعور ـ الملطاط (عند النجف) ـ الخورنق ـ الغريان ـ السيلحين ـ الخرارة ـ

---

(١) ياقوت: ٤: ٣٣٥. عمير اللصوص: قريتان من الحيرة.
(٢) ياقوت: ٤: ٤٠١.
(٣) الطبري ١: ٢٢٥٥.
(٤) الطبري ١: ٢٢٥٦.
(٥) الطبري ١: ٢٢٥٧.
(٦) الطبري ١: ٢٢٦٤.
(٧) الطبري ١: ٢٢٦٥/ البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٥.

wadod.org

طيزناباد][١].

دير الأعور

مكان بظاهر الكوفة، بناه رجل من أياد، يقال له الأعور[٢].

الظَهْرُ ـ النَجَفَ ـ الغريان

الظهر: «ويدعى خد العذراء ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم»[٣] وكان الناس يدفنون موتاهم بالكوفة في جبابينهم، فلما ثقل خباب قال لي: أي بني إذا أنا متّ فادفني بهذا الظهر، فإنك لو قد دفنتني بالظهر قيل دفن بالظهر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فدفن الناس موتاهم، فلما مات خباب رحمه الله دفن بالظهر فكان أول مدفون بظهر الكوفة خباب»[٤] ثم «إن عمرو بن عتبة ومعضد بن يزيد العجلي بنيا مسجداً بظهر الكوفة فأتاهم ابن مسعود فقال: جئت لأكسر مسجد الخبال»[٥].

وكان يقال لظهر الكوفة اللسان[٦]، «واللسان: لسان البر الذي ادلعه في الريف وعليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم»[٧] «وهو فيما بين النهرين إلى العين عين بني الحذاء، كانت العرب تقول ادلع البر لسانه في الريف، فما كان يلي الفرات منه فهو الملطاط، وما كان يلي الطين منه فهو النجاف»[٨].

وفي وصف سعد للقادسية «إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاحٍ إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطىء يدعى الحُضوض، يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وأما عن يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم»[٩].

ولما كان مستوى أرض القادسية وما جاورها منخفض فإن المنطقة التي تحتوي على الحيرة والخورنق وطيزناباذ والنجف مرتفعة فتشملها تسمية الظهر، ولكن لتلك

---

(١) د. صالح أحمد العلي: الحيرة ـ مجلة كلية الآداب ـ بغداد ٥: ٢٤.
(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ١١٩.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٧.
(٤) ابن سعد: الطبقات ج٣ ق٢: ١١٨.
(٥) ابن سعد ٦: ١٤٤.
(٦) الطبري ١: ٢٤٨٥/ ياقوت ٤: ٦٣٣.
(٧) الطبري ١: ٢٤١٩.
(٨) الطبري ١: ٢٤٨٥/ ياقوت ٤: ٣٥٥.
(٩) الطبري ٣: ٤٩٠ـ٤٩٣/ ياقوت ٤: ٨.

wadod.org

المناطق أسمائها التي عُرفت بها فلم تسمى بالظهر، وإنما النجف وحدها هي التي عرفت بهذا الاسم دون غيرها.

وأما **النجف** فإنها «بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها»[١]. وقد تردد ذكرها في أحداث الفتوح الإسلامية الأولى، «ولما أصاب خالد ابن الأزادبه على فم فرات بادقلى قصد للحيرة واستلحق أصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف، فقدم خالد الخورنق.. وكان عسكره بين الغريين والقصر الأبيض»[٢] ثم إن المثنى «قال خذوا على الجوف، فسلكوا القادسية والجوف، وسلك المثنى وسط السواد فطلع على النهرين ثم على الخورنق، وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه»[٣].

ولما تقدم رستم إلى القادسية «نزل بحيال دير الأعور ثم انصب إلى الملطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف، بحيال الخورنق إلى الغريين»[٤]، ثم أمر الجالنوس أن يسير من النجف فسار في المقدمات فنزل فيما بين النجف والسيلحين، وارتحل رستم فنزل النجف»[٥]، «ورأى رستم أن ينزل بين العتيق والنجف»[٦]، «فإذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب، فارتحل الجالنوس، فنزل ذو الحاجب منزله والجالنوس يريد طيزناباذ فنزل بها»[٧]، «وقتلوا ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف»[٨].

وهناك إشارات إلى النجف في العصر الأموي[٩].

وقد ورد وصفها ومدحها في قصيدة لإسحق بن إبراهيم الموصلي يمدح بها الواثق[١٠].

---

(١) ياقوت ٤: ٧٦٠.
(٢) الطبري ١: ٢٠٣٨.
(٣) الطبري ١: ٢١٨٤.
(٤) الطبري ١: ٢٢٥٥.
(٥) الطبري ١: ٢٢٥٦.
(٦) الطبري ١: ٢٢٥٧.
(٧) الطبري ١: ٢٢٦٤.
(٨) الطبري ١: ٢٢٣٩.
(٩) الطبري ٢: ٧٤٦، ١٦٥٣. وكيع: أخبار القضاة ٢: ١٢٦٧.
(١٠) الأغاني ٩: ٢٨٩/ ياقوت ٤: ٧٦٠.

wadod.org

وبظاهر النجف يقع الغريين[١]. وقد ورد ذكره كثيراً في الفتوح، حيث أن خالد لما اصاب «ابن الأزادبه على فم فرات بادقلى قصد للحيرة واستلحق أصحابه، وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف، فقدم خالد الخورنق.. ثم.. خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع الأزادبه بين الغريين والقصر الأبيض»[٢].

كما أن رستم خَرج «ونزل بحيال دير الأعور، ثم انصب إلى الملطاط، فعسكر مما يلي الفرات بحيال الخورنق إلى الغريين»[٣].

ويروي ابن منظور «.. قال أبو سعيد: الغري نصب كان يذبح عليه النسك وكل بناء حسن غري، والغريان المشهوران بالكوفة منه.. وقال ابن بري: وهما بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش وسميا الغريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله بيوم بؤسه»[٤].

والخلاصة التي نستنتجها من النصوص والروايات السابقة وما قبلها أن الظهر يضم المواضع الآتية:

١ـ مركز الظهر: وهو مدفن خباب بن الأرت، الواقع بالقرب من مقبرة كميل بن زياد النخعي بالمحلة المسماة اليوم بـ (الحنانة) بالقرب من النجف.

٢ـ النجف.

٣ـ الغريين.

٤ـ طيزناباد.

٥ـ الخورنق.

٦ـ القصر الأبيض.

٧ـ الحيرة.

طِيَزنَابَاد

بكسر أوله، وسكون ثانيه، ثم زاي مفتوحة، ثم نون، وبعد ألفها باء موحدة، وآخره ذال معجمة[٥].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣: ٧٩٢.

(٢) الطبري ١: ٢٠٣٨.

(٣) الطبري ١: ٢٢٥٥.

(٤) لسان العرب ١٩: ٣٥٨/ ويقول ابن قتيبة «الغريين: وهما طربالان يغريهما (النعمان) بدم من يقتل إذا ركب يوم بؤسه» المعارف ٦٤٩ ط ثروت عكاشة.

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤: ٥٤.

wadod.org

ومعناه ضيزن آبادر أي عمارة الضيزن، ثم صُحِّفَتْ الضاد إلى طاء فغلبت عليها.

يروي البلاذري: إنها كانت تدعى ضيزناباد نسبة إلى الضيزن بن معاوية بن عمر بن عبيد السيلحي[١].

والذي يظهر في اشتقاقه وسبب تسميته بهذا الاسم أنه من عمارة الضيزن والد النضيرة بنت الضيزن ملك الحضْر، وأن الفرس ليس في كلامهم الضاد فتكلموا بها بالطاء فغلب عليها، ومعناه عمارة الضيزن لأن أباذ القارة[٢].

ويقول ابن الكلبي: الضيزن بن معاوية بن الأحرام بن سعد بن سليم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وهي عجمية، موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج، وبينها وبين القادسية ميل، كانت إقطاعاً للأشعث بن قيس[٣]، وكانت من أنزه المواضع المقصودة للّهو والبطالة، وهي الآن خراب لم يبق لها إلاّ اثر قباب يسمّونها قباب أبي نؤاس، ولأهل الخلاعة فيها أخبار يطول ذكرها. وقال أبو نؤاس يذكرها:

قالوا تَنَسّكَ بعد الحج، قلت لهم: أرجو الإله وأخشى طيزناباذا
أخشى قُضيِّبَ كَرْم أن ينازعني فَضْلَ الخطام وإن أسرعتُ إغذاذا
فإن سلمتُ، وما قلبي على ثقةٍ من السلامةِ، لم أسلم ببغداذا
ما أبعد النسك من قلب تقسّمه قُطْرَ بُلٍّ فقُرى بِنّا فكَلَواذى

وقال محمد بن عبيد الله الكاتب قدمت من مكة فلما صرت إلى طيزناباذ، ذكرت قول أبي نؤاس حيث قال:

بطيزناباذ كرمٌ ما مررت به إلا تعجّبتُ ممن يشربُ الماء
إن الشراب إذا ما كان من عنب دائرٌ، وأيُّ لبيبٍ يشرب الداء ؟

فهتف بي هاتفٌ أسمع صوته ولا أراه فقال:

وفي الجحيم حميمٌ ما تجرّعه خلقٌ فأبقى له في البطن أمعاء[٤]

وفي لسان العرب أن الضيزنان صنمان للمنذر الأكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحاناً للطاعة، والضيزن: الذي يسميه أهل العراق البندار،

---

(١) فتوح البلدان ٢٨٤/ ياقوت ٤: ٥٤.
(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤: ٥٤ـ٥٥.
(٣) ياقوت الحموي: ن.م ص٥٥.
(٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص٤١٧ـ٤١٨/ الحموي: ٤: ٥٤ـ٥٥ مع اختلاف قليل بينهما.

wadod.org

يكون مع عامل الخراج. فلعل أصل هذا المكان مدخل الحيرة وفيه أصنام، وفيه مركز جباية الضرائب[١].

وفي وصف حركات الجيش الفارسي «أن رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب، فارتحل الجالينوس، فنزل ذو الحاجب منزله، والجالنوس يريد طيزناباد فنزل بها»[٢] «فلما أصبح رستم في الغد من يوم نزل السيلحين قدم الجالنوس وذا الحاجب، فارتحل الجالنوس فنزل من دون القنطرة.. ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباد..»[٣].

وبعد الفتح الإسلامي، وفي خلافة عثمان، أقطعها عثمان للأشعث بن قيس الكندي[٤]، وكان لابنه محمد فيها قصر مما يلي القادسية[٥] أمر المختار بهدمه[٦].

وقد أورد المؤرخون والجغرافيون وصفاً عاماً لها، فقد قال المسعودي (المتوفى ٣٤٦هـ/ ١٩٥٧م) «أنها قرية بين الكوفة والقادسية، ذات كروم وأشجار، ونخل ورياض، تخرقها الأنهار من كل العقاب عن الفرات، شرابها موصوف بالجود كوصف القطر بلى»[٧].

أما ياقوت الحموي (المتوفى ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) فقد قال أنها «بين الكوفة والقادسية، على حافة الطريق، على جادة الحاج، وبينها وبين القادسية ميل»[٨] «وكانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكانت أحد المواضع المقصودة للّهو والبطالة، وهو الآن خراب لم يبق به إلا قباب يسمونها قباب أبي نواس، ولأهل الخلاعة فيه أخبار يطول ذكرها»[٩].

وفي طيزناباذ كان دير سرجس وبكس وهو منسوب إلى راهبين، وكان هذا الدير

---

(١) ابن منظور ١٧: ١٢٣.
(٢) الطبري ١: ٢٢٦٤.
(٣) الطبري ١: ٢٢٦٥/ البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٥.
(٤) الطبري ١: ٢٨٥٥/ البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٤/ ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣: ٥٦٩ وفيه أنها للأشعث بن قيس بن عمر بن الخطاب.
(٥) الطبري ٢: ٦٨٠/ البلاذري: أنساب الأشراف ٥: ٢٤١.
(٦) الطبري ٢: ٧١٨.
(٧) مروج الذهب ٦: ٣٠٥.
(٨) معجم البلدان ٣: ٥٦٩، ويرى إبراهيم حلمي أنها هي طعير يزات الواقعة على ٩ أميال من أبي صخير باتجاه النجف: انظر لغة العرب ٢: ٣٢١ـ٣٢٦.
(٩) ياقوت ٣: ٥٧٠.

wadod.org

بطيزناباد، بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق، وبينهما وبين القادسية ميل، وكانت أرضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكان أحد البقاع المقصودة والنزه الموصوفة، وقد خربت الآن وبطلت وعفت آثارها، وتهدمت آبارها، ولم يبق من جميع رسومها إلاّ قباب خراب وحجر على قارعة الطريق، تسميه الناس معصرة أبي نواس»[١] وكان هذا الدير من أحسن الديارات عمارة وأنزهها موضعاً[٢].

ويروى عن الشابشتي أن دير الزرنوق كان يسمى باسم دير بطيزناباذ بين الكوفة والقادسية على وجه الطريق، بينه وبين القادسية ميل[٣]، ويقول البكري إنها موضع دون القادسية[٤].

قال أبو نؤاس يذكر طيزناباذ:

قالوا تَنَسّكَ بعد الحج، قلت لهم ... أرجو الإله وأخشىٰ طيزناباذا
أخشىٰ قُضيِّبَ كَرْمٍ أن ينازعني ... فَضْلَ الخطام وإن أسرعتُ إغذاذا
فإن سلمتُ، وما قلبي على ثقةٍ ... من السلامةِ، لم أسلم ببغداذا
ما أبعد النسك من قلب تقسّمه ... قُطْرَبُّلٌ فقُرى بِنَّا فكَلَواذى[٥]

تقع طيزناباذ المسماة محلياً (طعيريزات) على مقربة من الطريق العام الحديث بين النجف والمناذرة، وهي إلى النجف أقرب.

الخرارة

في وصف حركات الجيش الساساني «أن رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب، فارتحل الجالينوس، فنزل ذو الحاجب منزله، والجالنوس يريد طيزناباد فنزل بها»[٦] «فلما أصبح رستم في الغد من يوم نزل السيلحين قدم الجالنوس وذا الحاجب، فارتحل الجالنوس فنزل من دون القنطرة.. ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباد، ونزل رستم منزل ذي الحاجب بالخرارة، ثم قدم ذا الحاجب فلما انتهى إلى العتيق تياسر حتى إذا كان بحيال قديس خندق خندقاً، وارتحل الجالنوس فنزل

---

(١) الطبري ٢ : ٧١٨.
(٢) الشابشتي: كتاب الديارات ١٥٠/ ياقوت ٢ : ٦٦٧ ويسميها (قباب أبي نؤاس)/ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١ : ٢٨٤.
(٣) ياقوت ٢ : ٦٦٣.
(٤) البكري: معجم ما استعجم ٤٩٣ ط مصطفى السقا.
(٥) ياقوت ٤ : ٥٥.
(٦) الطبري ١ : ٢٢٦٤.

wadod.org

عليه»[١].

يتضح لنا مما تقدم أن الخرارة تقع بين طيزناباد والسيلحين، وقال ياقوت بأنها قرب السيلحون من نواحي الكوفة[٢].

سَيلَحُونَ

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح لامه، ثم حاء مهملة، وواو ساكنة، ونون.

وقد يعرف إعراب جمع السلامة، فيقال: هذه سَيلحونَ، ورأيت سيلحين، ومررت بسيلحين، ومنهم من يجعله اسماً واحداً يعربه إعراب ما لا ينصرف، فيقول: هذه سيلحين، ورأيت سيلحين، ومررت بسيلحين[٣].

وهو أحد طساسيج البهقباذ الأسفل[٤]، أما الطساسيج الأخرى فهي الكوفة، وفرات بادقلى، والحيرة، ونستر، وهرمزجرد[٥] «وطسوج السيلحين فيه الخورنق، وطيزناباد، وبيادره أربع وثلاثون بيدراً، الحنطة ألف كر الشعير ألف وسبعمائة كر ـ الورق مائة ألف وأربعون ألف»[٦].

وكان في السيلحون نهر السيلحون وهو يجري من الفرات[٧] وكانت فيه أحد مسالح كسرى[٨].

وذكر السيلحون في الفتوح وغيرها من الشعر يدل على أنها قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية.

ولذلك ذكرها الشعراء أيام القادسية مع الحيرة والقادسية:

فمرّتْ بباب القادسيّة غُدْوَةً ... وراحتُها بالسيلحين العبائرْ
فلما انتهت دون الخورنق عادَها ... وقصر بني النعمان حيث الأواخرُ
إلى أهل مصر أصلح الله حاله ... به المسلمون والجهودُ الأكابرُ
فصارت إلى أرض الجهاد وبلدة ... مباركة والأرض فيها مصائر

(١) الطبري ١: ٢٢٦٥/ البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٥.
(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢: ٤٠٩.
(٣) ياقوت: معجم البلدان ٣: ٣١٦.
(٤) ياقوت ١: ٢٤١.
(٥) ياقوت ١: ٧٧٠.
(٦) ابن خرداذبه ١٢/ قدامه بن جعفر: الخراج ٢٣٧.
(٧) البلاذري: أنساب الأشراف ٥: ٢٥٨.
(٨) ياقوت ٣: ٢١٨.

wadod.org

فألقت عصاها واستقرّ بها النّوَى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

وقال الأشعث بن عبد الحجر بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وكان شهد الحيرة والقادسية وتلك المشاهد فعُقرت ناقته فقال:

وما عُقِرَتْ بالسيلحين مَطيّتي وبالقصر إلاّ خشية أن أُعَيَّرا
فباسْتِ امرىء يَبْأى عليَّ برهطه وقد ساد أشياخي مَعَدّاً وحِميَرَا

وقال عمرو بن الأهتم:

ما في بني الأهتم من طائل يُرجى ولا خير به يصلحون
لولا دفاعي كنتمُ أعبُداً مسكنها الحيرة والسيلحون
جاءت بكم عفرةُ من أرضها خيّرية ليس كما تزعمون
في ظاهر الكفّ وفي بطنِها وَشْمٌ من الدّاء الذي تكتمون

وقال الجعدي:

وإذا رأيت السيلحين وبارقاً أغنين عن عمرو وأُمِّ قُبالِ
مَلَك الخورنق والسدير ودانها ما بين حمير أهلها وأُوالِ

ومما يقوّي أن السيلحين قرب الحيرة قول هانىء بن مسعود يرثي النعمان بن المنذر:

إن ذا التاج، لا أبا لك، اضحى وذُرَى بَيتهِ نُجُورُ الفُيُولِ
إن كسرى عدا على الملك النّعْمـ ـان حتى سقاهُ أُم البليلِ
قد عمرنا وقد رأينا لدى الحيـ ـرة في السيلحين خير قتيل[1]

وفي معركة القادسية عندما «بعث زهرة سرية.. وأمرهم بالغارة على الحيرة، فلما جازوا السيلحين سمعوا جلبة فمكثوا حتى حاذوهم، وإذا أُخت آزاد مرد بن آزاذبه مرزبان الحيرة تزف إلى صاحب الصنين»[2].

ومن هذا نستدل أن السيلحين يقع بين القادسية والحيرة.

ونهر السيلحين قريب من مجتمع الأنهر، إذ أنه عندما تقدم مُصعب بن الزبير إلى الكوفة «ولما بلغ المختار أنهم قد أقبلوا إليه من البحر وعلى الظهر، سار حتى نزل بهم السيلحين، ونظر إلى مجتمع الأنهار، نهر الحيرة، ونهر السيلحين، ونهر القادسية، ونهر برسف (يوسف ؟) فسكر الفرات على مجتمع الأنهار فذهب ماء الفرات كله في هذه

(١) ياقوت ٣: ٢٩٨ـ٢٩٩.
(٢) ابن الأثير ٢: ٤٥٤.

wadod.org

أطلال منطقة القادسية كما تبدو على مسافة ٥٠٠م.

الباحث يقف مع ممثلي المؤسسة العامة للآثار والتراث العراقية لدى زيارتهم للمنطقة في ٢٠/ ٥/ ١٩٨٥، وهم الدكتور محمد باقر الحسيني المدير العام لآثار المنطقة الغربية ومنقب الآثار. . .

wadod.org

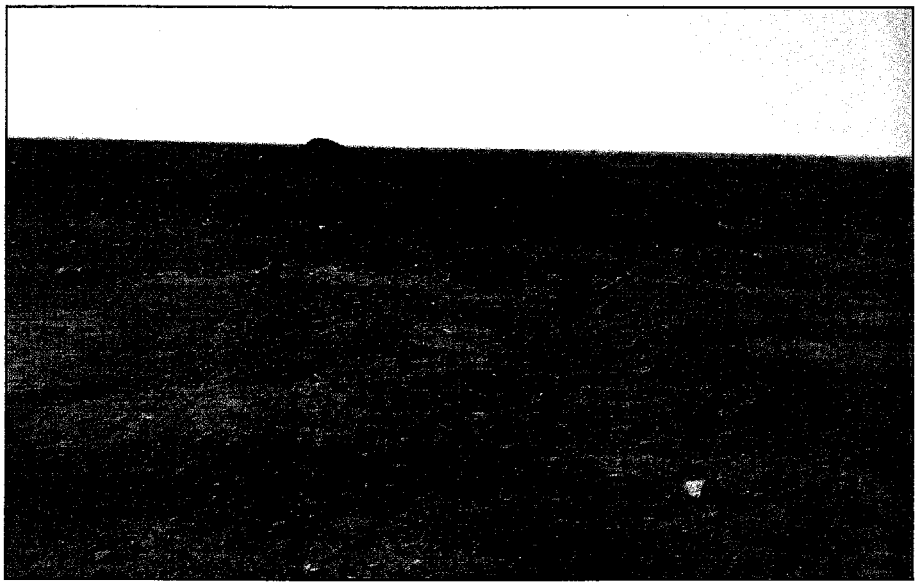

أطلال قصر قديس كما تبدو على مسافة ٥٠٠م.

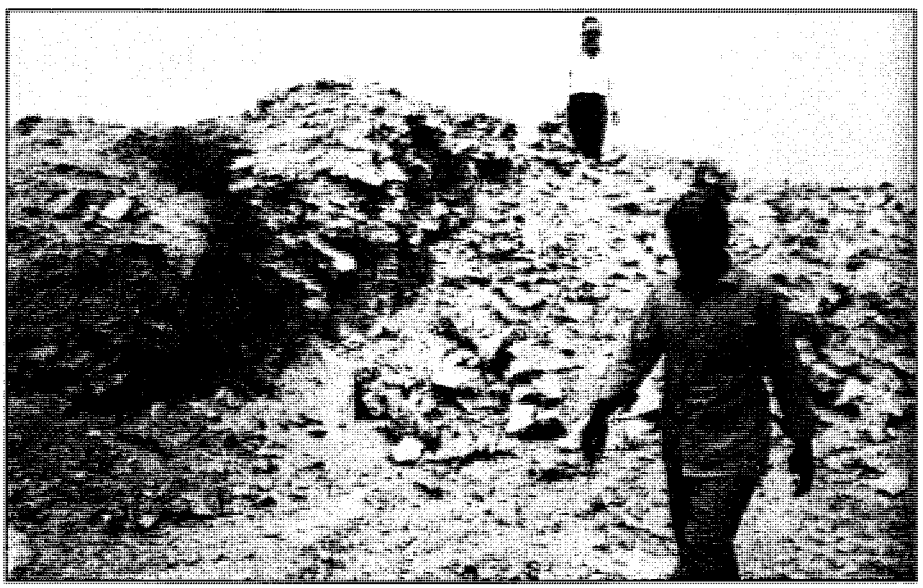

بقايا جدران وأبراج قصر قديس

ويظهر الدكتور محمد باقر الحسيني المدير العام لآثار المنطقة الغربية ـ الواقف على المرتفع ـ أثناء زيارته للموقع في ٢٠/ ٥/ ١٩٨٥، ويبدو الباحث على مقربة منه.

wadod.org

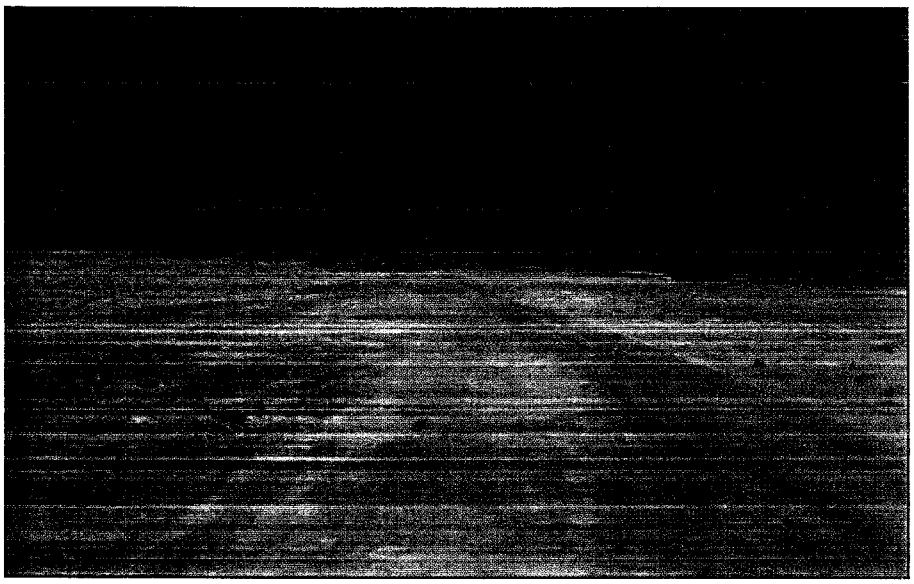

قرية الرحبة . وتبدو قلعة الرحبة على مسافة ١٠٠٠م .

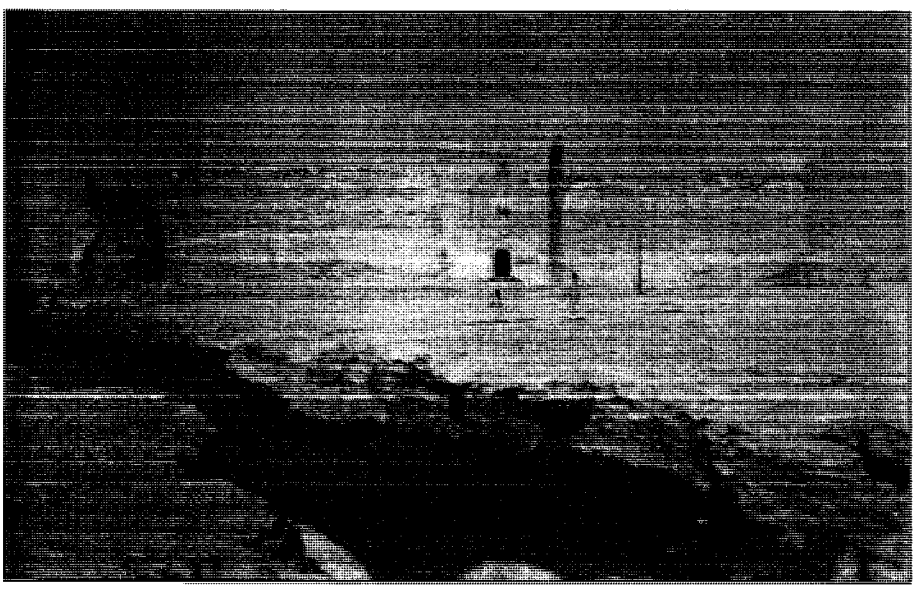

قلعة الرحبة (قصر الرحباوي)، ويبدو مجرى العين من أعلى القرية ماراً أمام القلعة .

wadod.org

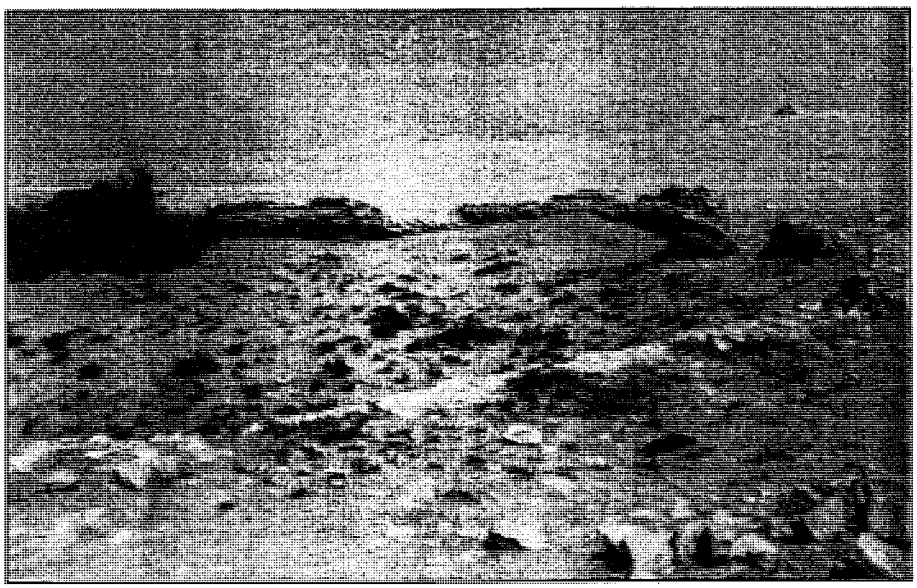

العذيب ـ مصنع المياه.

الباحث وممثلو المؤسسة العامة للآثار والتراث العراقية في موقع العذيب في ٢٠/ ٥/ ١٩٨٥.

wadod.org

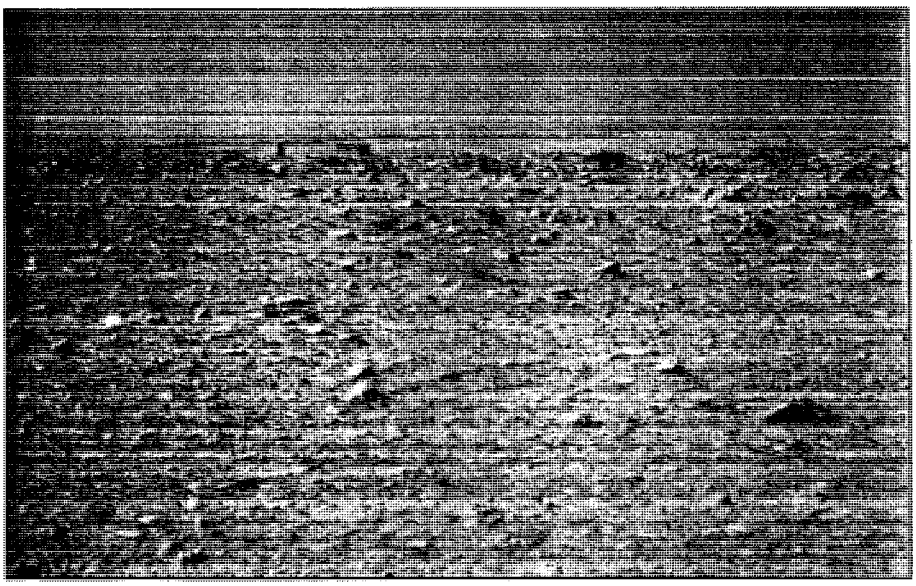

موقع (مشرّق) سفح الوادي الذي دفن فيه شهداء معركة القادسية.

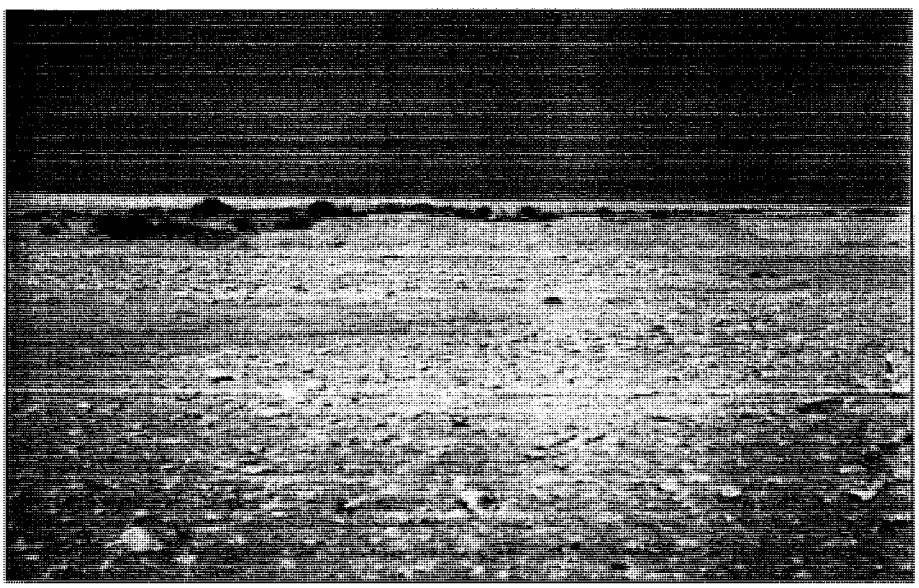

خندق القادسية.

wadod.org

بقايا إحدى مسالح الفرس، تقع قرب العذيب.

بناية أم الكرون ـ من الخارج ـ موقع قريب من منطقة القادسية على طريق الحج القديم ـ درب زبيدة.

wadod.org

بناية أم الكرون ـ من الداخل.

البئر الصغير لموقع أم الكرون.

wadod.org

منارة أم الكرون التي سمي الموقع باسمها ويظهر نصفها الأعلى وقد انهار واتكأ على القاعدة.

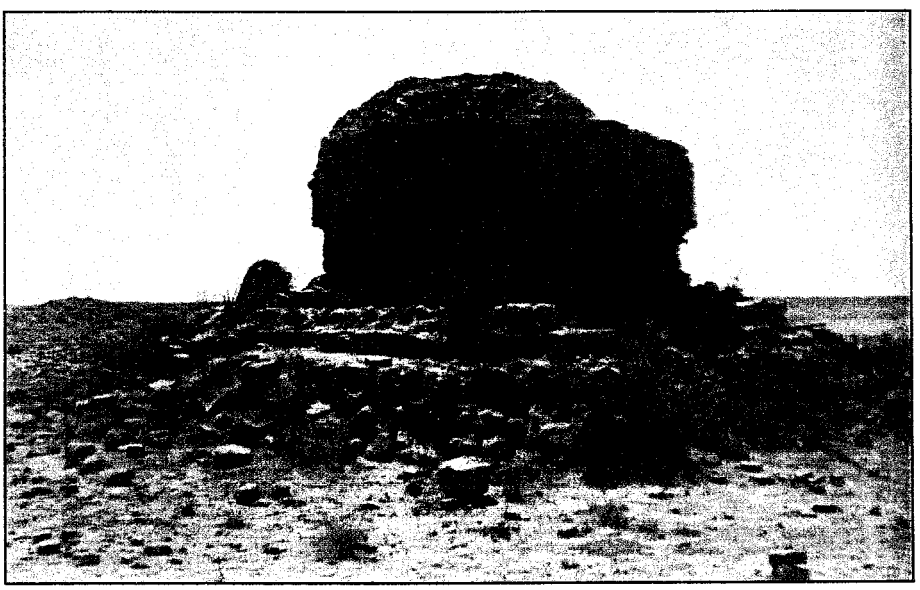

قاعدة منارة أم الكرون التي يستند عليها نصفها الأعلى بعد انهياره ـ صورة مكبّرة .

wadod.org

الأنهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين»[١].

وكان بين السيلحين والحيرة جسر قطعته الغارة التي بعث بها سعد إلى الحيرة[٢].

ولتحديد موقع السيلحين فإني أتفق مع الأستاذ ألوا موزيل حينما يقول: «تقع السيلحين على مسافة خمسة عشر كيلومتر جنوب شرقي الحيرة أسفل من بلدة أبي صخير الحديثة، ولابد من البحث عن مجتمع الأنهار، وبتعبير أصح نقطة ابتداء هذه الأنهار من الفرات، إلى الجنوب الشرقي من الحيرة عند أبي صخير في بساتين الجعارة، حيث يأخذ الفرات العتيق الذي يجري إلى القادسية، وكذلك نهر بادقلى الذي يجري إلى جنوب ـ الجنوب الشرقي. كان نهر الحيرة وبرسف ينتهيان هناك. ومن «مجتمع الأنهار» هذا زحف خالد على الحيرة (الطبري ١/ ٢٠٣٨ وما بعدها)، وخيّم بين الخورنق والنجف، وانتظر في الخورنق وصول بقية جنوده»[٣].

الخَوَرْنَقُ

بفتح أوله، وثانيه، وراء ساكنة، ونون مفتوحة، وآخره قاف. قصر كان بظهر الحيرة[٤] «يقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل»[٥]، وهو مقابل الفرات، يدور عليه على عاقول كالخندق[٦]، وهو كما نعلم يرجع إلى عهد المناذرة[٧] بناه رجل من الروم يقال له سنمار للنعمان بن امرىء القيس[٨]، وقد أضيفت إليه في العصر الإسلامي عدة إضافات «فلم يقدم أحد من الولاة الكوفة إلاّ وأحدث في قصرها المعروف بالخورنق شيئاً من الأبنية، فلما قدم الضحاك بن قيس بنى فيه مواضع وبيّضه وتنقده»[٩]. فلما ظهرت الدولة العباسية «أقطع الخورنق إبراهيم بن سلمة أحد الدعاة بخراسان.. وإبراهيم أحدث

(١) الطبري ٢: ٧٢٥.
(٢) الطبري ٣: ٤٩٣.
(٣) الفرات الأوسط ص٤٦٥.
(٤) النص بتصرف عن د. صالح أحمد العلي: منطقة الحيرة مج كلية الآداب ـ بغداد ٣٥ـ٣٦/ ياقوت ٢: ٤٩١.
(٥) ياقوت ٢: ٣٧٥. ويقول ابن رستم: إنه على ثلاثة أميال من الحيرة (الأعلاق النفيسة ٣٠٩) ولعل اختلاف التقدير راجع إلى البدايات التي تقدر منها المسافات.
(٦) ياقوت ٢: ٤٩٢.
(٧) انظر في وصفه كتاب الحيرة ليوسف غنيمة.
(٨) ياقوت ٢: ٣٢٨، ٤٠١.
(٩) ابن الفقيه: ١٧٨/ ياقوت ٢: ٤٩٣. عن الهيثم بن عدي، وعن زيادة عبد الملك بن مروان انظر: أنساب الأشراف ٥: ٧٥٢.

wadod.org

قبة الخورنق في خلافة ابي العباس ولم تكن قبل ذلك»[١]، وقد تردد ذكر الخورنق في الشعر العربي[٢].

وقد تردد ذكر الخورنق في أحداث الفتوح الإسلامية، فلما أصاب «خالد ابن الازادبه على فم فرات بادقلى قصد للحيرة واستلحق أصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف، فقدم خالد الخورنق.. ثم.. خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع الأزادبه بين الغريين والقصر الأبيض»[٣]، «وقال خذوا على الجوف، فسلكوا القادسية والجوف، وسلك المثنى وسط السواد فطلع على النهرين ثم على الخورنق، وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه، وطلع جرير على الجوف فانتهوا إلى المثنى وهو على البويب»[٤] وقد رأينا أن سعداً قال في وصفه للمنطقة «» وإن على يسار القادسية بحر أخضر لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الخصوص يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة»[٥] وإن رستم خرج «ونزل بحيال دير الأعور، ثم انصب إلى الملطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال الخورنق إلى الغريين»[٦].

ومن هذا يتبين أن الخورنق قريب من النجف، ومن الغريين، وإن منها طريق يربطها بالنهرين وطريق القادسية عن طريق نهر الخصوص.

«وهو على نحو ستة كيلو مترات شمال غربي «مجتمع الأنهار» وعلى نفس المسافة تقريباً جنوبي الحيرة والنجف الواقعة على حافة الهضبة التي تقع الحيرة عليها، وهي تقع أيضاً إلى الغرب من الحيرة»[٧].

وتقع أنقرة وهي «موضع بظهر الكوفة من الخورنق»[٨].

الحِيرَةُ

بالكسر، ثم السكون، وراء.

---

(١) فتوح البلدان ٢٨٧ـ٢٨٨.
(٢) الطبري ٢: ١٤٦/ ياقوت ١: ٣٩١، ٤٦٣/ ٢: ١٤٦، ٤٧٣، ٦٤٠، ٦٤٤، ٧٨٨.
(٣) الطبري ١: ٢٠٣٨.
(٤) الطبري ١: ٢١٨٤.
(٥) الطبري ١: ٢٢٣٠.
(٦) الطبري ١: ٢٢٥٥.
(٧) الفرات الأوسط ٤٦٦.
(٨) البكري ٢٠٣.

wadod.org

الحيرة[١] تبعد ثلاثة أميال عن الكوفة، على موضع يقال له النجف[٢] يرويها نهر كافر[٣] وهو يسمى نهر الحيرة[٤].

تروي بعض المصادر أنه كان فيها من جميع القبائل: من مذحج، وحمير، وطيء، وكلب، وتميم[٥]. ومع أن بعض هذه القبائل قديم سكناها في الحيرة، إلاّ أن بعضها استوطن الحيرة بعد الفتح الإسلامي أو إزدادوا فيه بعد الفتح على الأقل.

وقد ذكر النسابون من القبائل التي استوطنت الحيرة: بنو عوف بن أبي سلمى[٦]، وبنو عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة[٧] أصحاب قصر العدسيين، وهما من كلب، وجفنة وهم بطن من بني عوف بن عمرة بن ربيعة بن حارثة الخزاعيين[٨]، وبنو زمان بن تيم الله بن جفال[٩]، وبنو سنيد ومرة أولاد زيد بن سعد بن عدي بن نمر ويقال لهم بنو مطر، ومنهم بقيلة صاحب قصر بني بقيلة، وبنو هند من بني زيد الله بن عمرو بن مازن، وهم من الأزد[١٠]. وبنو الساطع وهم بنو عدي بن عمرة بن كنانة[١١]، وبنو عدي بن الرميل بن لوب بن أسس اصحاب بيعة عدي وهم من لخم[١٢]، والحمرات من بني أراش بن حرملة بن لخم[١٣]، وبنو سمينة الطائيين[١٤]، وبنو المحلق بن بكر بن

---

(١) نصاً عن د. صالح أحمد العلي: منطقة الحيرة. مج كلية الآداب ـ بغداد ٥: ٢٨ـ٣٤ نظراً لاستيعابه الموضوع بشكل مفصل ومركّز.

(٢) اليعقوبي: البلدان ٣٠٩/ ابن رستم ٣٠٩/ ياقوت ٢: ٣٧٥. ويروي الاصطخري (ص٨٢) أن بينها وبين الكوفة فرسخ، وهي رواية غير دقيقة، أو أنه قدر المسافة من أبعد نقطتين بين الكوفة والحيرة. ويرى موزيل أن مركز الحيرة يبعد ٥ كيلومترات عن الكوفة والخورنق. وعشرة كيلومترات عن النجف (ص١٠).

(٣) البكري: معجم ما استعجم ١١١٠/ الأغاني ٢: ١٣٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات ٦: ١٤٥/ البلاذري: أنساب الشراف ٥: ٢١٧/ الطبري ٢: ٧٢٥.

(٥) ياقوت ٢: ٢٧٨.

(٦) ابن الكلبي: كتاب النسب ـ مخطوطة الإسكوريال ٤٢٣.

(٧) ابن الكلبي: ٤٢٤.

(٨) ابن الكلبي: ٤٢٤.

(٩) ابن الكلبي: ٣٢١.

(١٠) ابن الكلبي: ٣٢٣.

(١١) ابن الكلبي: ٤٥٠.

(١٢) ابن الكلبي: ١٣٩/ ابن دريد: الاشتقاق ٣٧٧.

(١٣) ابن الكلبي: ١٤١.

(١٤) ابن الكلبي: ١٥٦.

wadod.org

وائل[١]، وسلسلة من بني ملك بن هزيم الجعفي[٢]، وبنو عبد الخيار، وبنو مالك من أياد[٣].

وكانت الحيرة مشهورة بخماراتها[٤]، حيث كان يؤمها كثير من أهل الكوفة متحررين من قيود الوقار التي يفرضها عليهم بقاؤهم في الكوفة، كما زارها عدد من خلفاء بني العباس «لطيب هوائها وصفاء جوّها، وصحة تربتها وصلابتها، غير أنها بدأت تنحط تدريجياً، حتى أنها كانت في زمن المعتضد خراباً»[٥].

وفي الحيرة عدة أديرة، منها دير هند الصغرى، وقد بنته هند بنت النعمان «»وترهبت فيه وسكنته دهراً طويلاً ثم عميت، وهذا الدير من أعظم ديارات الحيرة وأعمرها، وهو بين الخندق وحضرا (صحراء ؟) بكر، ولما قدم الحجاج الكوفة سنة ٧٤هـ قيل له إن بين الحيرة والكوفة ديراً لهند بنت النعمان. .»[٦]، ولما ولي بشر بن مروان أمارة الكوفة «شق له نهراً من الفرات، ولم يزل النهر يجري حتى خرب الدير»[٧] ويروي البكري أن «هذا الدير يقارب بني عبد الله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق، في موضع نزه»[٨].

أما دير هند الكبرى فهو غير الدير السابق، وهو على طف النجف[٩]. وعند هذا الدير دير اللج[١٠] الذي بناه النعمان أبو قابوس، «ولم يكن في ديارات الحيرة أحسن بناءً منه ولا أنزه موضعاً»[١١].

ومن أديرة الحيرة دير ابن مزعوق «وهذا الدير في وسطها، وهو دير كثير الرهبان، حسن العمارة، أحد المتنزهات المقصودة والأماكن الموصوفة»[١٢]، وبالقرب من هذا

---

(١) ابن الكلبي: ٢١٩.
(٢) ابن الكلبي: ٢١٨.
(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ١: ٢٧ـ٨.
(٤) أبوالفرج: الأغاني ١١: ٢٥٤ـ٢٧١ ط دار الكتب.
(٥) المسعودي: مروج الذهب ٢: ١٠٤/ الاصطخري: المسالك ٨٢.
(٦) الشابشتي ١٥٧/ الأغاني ٢: ١٣٥.
(٧) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١: ٣٢٣.
(٨) البكري: ٦٠٥.
(٩) البكري ٦٠٧.
(١٠) البكري ١١٩٦.
(١١) البكري ٥٩٥/ الأغاني ١١: ٣٦٥/ ياقوت ٢: ٦٩١.
(١٢) الشابشتي: الديارات ١٤٨/ العمري: مسالك البصار ٣١٥/ ياقوت ٢: ٧٠١.

wadod.org

الدير مائلاً نحو الشمال يقع دير الحريق»[١].

ومن الأديرة التي بظاهر الكوفة دير عبد المسيح بن بقيلة الغساني «وهو بظاهر الحيرة بموضع يقال له الجرعة.. وخرب الدير بعد مدة فظهر فيه أزج معقود من حجارة»[٢] وهو يسمى أيضاً دير الجرعة[٣]. أما الجرعة فيذكر ابن سعد أنها ما بين الكوفة والحيرة[٤]، ويذكر ياقوت أنها بين النجفة والحيرة[٥]، ويمكن التوفيق بين الروايتين بالقول إن الجرعة بين الكوفة والحيرة والنجف، أي أنها في شمال غربي الكوفة.

ومن أبرز ما في الحيرة قصور يجمل الشابشتي موقعها بنص يذكره عن أبنية المناذرة حيث يقول «ومن هذه الأبنية المسقطات، وهو قصر فيه أزاج مستطيلة مسقطة شرقي الحيرة على طريق الحاج، ثم القصر، ثم كره البقال، ثم قصر العدسيين، ثم الأقصى (القصر!) الأبيض، وثم بني بقيلة وكان هذا القصر لعبد المسيح بن بقيلة الغساني.. ومن بعده دارعون، ثم فيه عصر(؟) مما يلي النجف، فهذه قصور الحيرة الباقية الآن»[٦].

لقد تردد ذكر هذه القصور في أخبار الفتوح الإسلامية، فيروي ياقوت أن قصر العدسيين «كان بالكوفة في طرف الحيرة لبني عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة»[٧]، ولما حاصرت قوات خالد بن الوليد قصور الحيرة في خلافة ابي بكر «كان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدسيين، وفيه عدس بن عدس المقتول»[٨]، وقد نزل المستورد بن علفة «فنزل داراً بالحيرة إلى جنب قصر العدسيين من كلب»[٩].

وقصر العدسيين فهو لبقيلة[١٠].

---

(١) العمري: مسالك البصار ٣١٦/ ياقوت ٢: ٦٥٤.
(٢) ياقوت ٢: ٢٧٧.
(٣) ياقوت ٢: ٦٥١.
(٤) ابن سعد: الطبقات ٥: ٢٢.
(٥) ياقوت ٢: ٦٢، ويذكر ابن منظور أن «الجرعة: اسم موضع بالكوفة كان فيه فتنة في زمن عثمان بن عفان» (لسان العرب ٩: ٣٩٧).
(٦) الشابشتي ١٥٤ـ١٥٥.
(٧) ياقوت ٤: ١١٦، ويبدو أنه أخذ روايته من ابن الكلبي الذي يذكر أن «لهم قصر العدسيين» (النسب ص٤٢٤ مخطوطة الأسكوريال).
(٨) الطبري ٢: ٢٩.
(٩) الطبري ٢/ ٢٩
(١٠) ابن الكلبي: ٣٢٣/ الاشتقاق ٤٨٥.

wadod.org

أما القصر الأبيض فهو من قصور الحيرة[١]، ولما تقدم خالد لحصار الحيرة «تحصن أهلها في القصر الأبيض، وقصر ابن بقيلة، وقصر العدسيين»[٢] ويذكر الأصبهاني أنه «كان لجابر بن شمعون الأسقف»[٣]، كما يذكر ياقوت أن هذا القصر «هو أبيض النعمان قصر كان له بالحيرة»[٤]. أما ابن الفقيه فيقول عنه إنه «في طرف الحيرة لبني عمار بن عبد المسيح»[٥]، ويذكر الطبري أن رستم عسكر «بين الغريين والقصر الأبيض»[٦] ومعنى هذا أن القصر الأبيض قرب الغريين في جهة النجف.

وقد ذكر من قصور الحيرة ايضاً قصر بني مازن[٧] وقصر الطين[٨].

ومن قصورها أيضاً قصر الفرس «حكى الأديبي أن قصر الفرس أحد قصور الحيرة الأربعة»[٩].

والزوراء «وهي دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة، هدمها أبو جعفر المنصور»[١٠] وعمير اللصوص «وكان مقابل الحيرة»[١١].

وفي الحيرة أيضاً «قبة الشنيق وهي من الأبنية القديمة بالحيرة على طريق الحاج، وبإزائها قباب يقال لها الشكورة، جميعها للنصارى»[١٢].

تذكر المصادر عدداً غير قليل من الأديرة في منطقة الحيرة دون أن تحدد مواقعها بالضبط، ومن هذه الأديرة دير علقمة[١٣]، ولعله هو دير حنظلة الذي يروي أبو الفرج أنه «من ديارات بني علقمة»[١٤].

---

(١) ياقوت ٤: ١٠٦.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٤/ أنساب الأشراف ٥: ٣٣٢.
(٣) الأغاني ٢: ١١٥.
(٤) ياقوت ٤: ٣٥٣.
(٥) مختصر كتاب البلدان ١٨٣.
(٦) الطبري ١: ٢٠٣٩.
(٧) الطبري ١: ٢٠٣٩.
(٨) ياقوت ٣: ٥٧١/ ٤: ١١٤.
(٩) ياقوت ٣: ٨٧٤/ ٤: ١٠٨.
(١٠) ابن قتيبة: المعاني الكبير ١: ٤٦٥/ البكري ٧٠٤، ياقوت ٢: ٩٥٥/ لسان العرب ٥: ٤٢٧ ـ ٤٢٨.
(١١) البكري ١٠٠٤/ ياقوت ٣: ٧٣١.
(١٢) الشابشتي ١٥٥/ العمري ٣٢٨.
(١٣) ياقوت ٢: ٦٨١.
(١٤) البكري ٥٧٧/ ياقوت ٢: ٦٥٦.

wadod.org

ومن هذه الأديرة دير السوا «أي العدل لأنهم كانوا يتحالفون عنده، فيتناصفون، وقال الكلبي هو منسوب إلى رجل من إياد، وقيل هو منسوب إلى بني حذافة، وقيل السوا امرأة منهم، وقيل السوا أرض نسب الدير إليها»[١].

وكذلك الاكيراح، فيقول ياقوت «روى أبو سعيد السكري عن أبي جعفر أحمد بن الهيثم البجلي «رأيت الاكيراح وهو على سبعة فراسخ من الحيرة مما يلي مغرب الشمس من الحيرة، وفيه ديارات فيها عيون وآبار محفورة يدخلها الماء، وروى الخالدين أن الاكيراح رستاق نزه بأرض الكوفة.. بالقرب منها ديران يقال لأحدهما دير مرعبدا، وللآخر دير حنة، وهو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض»[٢].

فأما دير مرعبدا فهو «ينسب إلى مرعبدا بن حنيف بن وضاح اللحياني كان مع ملوك الحيرة، وهو دير ابن وضاح»[٣] ويسميه أبو الفرج دير الاكيراح[٤].

أما دير حنة فهو «دير قديم بالحيرة منذ أيام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم[٥] بنو ساطع، تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القايم لبني أوس بن عمرو بن عامر».

وقد ذكر في منطقة الحيرة أيضاً دير ابن براق[٦].

وعند الحيرة أيضاً أماكن لا نستطيع تحديد مواقعها بالضبط مثل[٧] الباغوث[٨]، وقلاية القس[٩]، والفروط[١٠]، وبين «وهي موضع قريب من الحيرة»[١١]، وكانت في طرف السواد من ناحية الحيرة[١٢] وجفر الأملاك «وهو موضع دير بني مرينا»[١٣] وأنقرة

---

(١) فتوح البلدان ٢٨٣/ ياقوت ٢: ٦٧٢.
(٢) ياقوت ١: ٣٤٥ـ٣٤٦.
(٣) ياقوت ٢: ٦٩٩.
(٤) البكري ٥٧٩.
(٥) البكري ٥٧٨ (عن أبي الفرج).
(٦) ياقوت ٢: ٦٤٠.
(٧) ياقوت ٤: ٦٤٣.
(٨) البكري ٢٢١.
(٩) البكري: ١٠٩١.
(١٠) البكري ١٠٢٣.
(١١) ياقوت ١: ٤٢٥.
(١٢) ياقوت ٤: ٩٧٩.
(١٣) ياقوت ٢: ٦٥٦ـ٦٥٧.

wadod.org

«وهي موضع بنواحي الحيرة»[١] والجرف «كانت به منازل المنذر»[٢].

والحيرة اليوم مدينة بدرجة ناحية تتبع إدارياً إلى قضاء المناذرة (أبي صخير) لمحافظة النجف.

الملطاط

يقال لظهر الكوفة اللسان.. فما كان يلي الفرات منه فهو الملطاط، وما كان يلي الطين منه فهو النجاف»[٣].

ويروي البلاذري عن شيخ من الكوفيين «أن ما بين الكوفة والحيرة كان يسمى الملطاط»[٤].

وكانت تقع فيه (شوميا) إذ لما عبر مهران «فنزل على شاطىء الفرات معهم في الملطاط، فقال المثنى لذلك الرجل ما يقال لهذه الرقعة التي نزل مهران وعسكره ؟ قال: شوميا»[٥]. ويبدو أنه كان يمتلكه آل كسرى، حيث أردف قائلاً: «لوددت أن هذه الملطاط لك، يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة»[٦].

وفيه يقول عدي بن زيد العبادي:

هَيَّجَ الدَّاءَ في فُؤادِكَ حُورٌ ... نَاعِمَاتٌ بِجانِبِ ٱلمِلْطَاطِ

آنِسَاتُ ٱلحَدِيثِ في غَيْرِ فُحْشٍ ... رامِغَاتُ جَوانِبَ ٱلفِسْطَاطِ

. . . . إلخ المقطوعة[٧]

---

(١) ياقوت ١ : ٣٩١.

(٢) ياقوت ٢ : ٦٣.

(٣) الطبري ١ : ٢٤٨٥/ ابن قتيبة: المعارف ٢٤٦/ ياقوت ٤ : ٦٣٣.

(٤) فتوح البلدان ٢٣.

(٥) الطبري ١ : ٢١٨٥.

(٦) الطبري ١ : ٢٩٠٨.

(٧) ياقوت ٤ : ٦٣٣.

wadod.org

المصـادر والمراجـع

ـ آثار البلاد وأخبار العباد: لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٢هـ)، ط دار صادر، بيروت ١٩٦٠.

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: لمحمد بن أحمد المقدسي البشاري (ت نحو ٣٨٠هـ)، تحقيق: م.ج. دي غوية.

ـ أخبار الدول وآثار الأول في التأريخ: لأحمد بن يوسف الدمشقي القرماني (ت١٠١٩هـ)، ط حجرية، بغداد، ١٢٨٢هـ.

ـ الأخبار الطوال: لأبي حنيفة، أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٠.

ـ أخبار القضاة: لوكيع، محمد بن خلف بن حيان، ط عبد العزيز المراغي، مصر ١٩٥٠.

ـ الإشتقاق: لابن دريد، محمد بن الحسن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مط السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٨.

ـ الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مط نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٠.

ـ الأعلاق النفيسة: لأحمد بن عمر بن رستة (ت نحو ٣٠٠هـ)، تحقيق: م.ج. دي غوية، ط ليدن ١٨٩٢.

ـ أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: السيد حسن الأمين، ج٥، ط دار التعارف، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ـ الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الكتب بالقاهرة ١٩٧٠. وبتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٥٨.

ـ كتاب الأمالي: لأبي علي، إسماعيل القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ)، ط المكتب التجاري، بيروت.

ـ كتاب الأمتاع والمؤانسة: لأبي حيان التوحيدي، علي بن محمد (ت نحو ٤٠٠هـ)، تصحيح وشرح: أحمد أمين، وأحمد الزين، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٩م.

ـ كتاب الأموال: لأبي عبيد، القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد خليل هراس، مط الفجالة الجديدة ١٩٧٦.

ـ الأنساب: للسمعاني، أبي سعيد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ)، نشر المستشرق د.س. مرجليوث، أعادت طبعه بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد.

wadod.org

ـ **أنساب الأشراف**: لأحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: د. محمد حميد الله، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩، وبتحقيق: د. إحسان عباس، ط المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧٩.

ـ **البدء والتأريخ**: لمطهر بن طاهر المقدسي (ت٣٥٥هـ)، نشر وترجمة: كلمان هوار، باريس ١٩١٦.

ـ **البداية والنهاية**: لابن كثير (ت٧٧٤هـ)، ط٢ مكتبة المعارف، بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

ـ **تأريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام**: لشمس الدين الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٦٨هـ.

ـ **تأريخ إيران**: سايكس. ب. م. ترجمة: فخر داعي كيلاني، ج١.

ـ **تأريخ روضة الصفا**: مير محمد بن سيد برهان الدين خواو ندشاه، (القرن الثامن الهجري)، ط مركزي، خيام، پرويز [دت].

ـ **تأريخ الطبري (تأريخ الرسل والملوك)**: لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩.

ـ **تأريخ غرر السير**: لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، طبعة هـ. زوتنبر. ج ـ باريس ١٩٠٠.

ـ **تأريخ اليعقوبي**: لأحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ)، ط دار صادر، دار بيروت ١٩٦٠.

ـ **تتمة المختصر في أخبار البشر**: لعمر بن الوردي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، ط دار المعرفة، بيروت [دت].

ـ **تقويم البلدان**: لأبي الفداء، عماد الدين، اسماعيل بن محمد (ت٧٣٢هـ)، تحقيق: م. رينو ـ دي سلان ـ باريس ١٨٦٠.

ـ **التنبيه والإشراف**: للمسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، ط القاهرة ١٩٣٨.

ـ **حبيب السير**: ج١، مط خيام، إيران.

ـ **حلية الفرسان وشعار الشجعان**: لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي (ت خلال القرن ٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٥١.

ـ **حماسة الشجري**: لابن الشجري (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي. ط وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٠.

ـ **الحيرة**: د. صالح أحمد العلي، مج كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٦٢، مج٥/ص ١٧ ـ ٤٠.

ـ **الحيرة: المدينة والمملكة العربية**: ليوسف رزق الله غنيمة، مط دنكور الحديثة، بغداد ١٩٣٦.

wadod.org

ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية**: لعبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، ط١ مط الأميرية، بولاق ١٢٧٩هـ.

ـ **كتاب دول الإسلام**: لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط٢، حيدرآباد، الدكن ١٣٦٤هـ.

ـ **الديارات**: للشابشتي، علي بن محمد، تحقيق: كوركيس عواد، ط مط المعارف، بغداد ١٩٦٦.

ـ **ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي (ت٢١هـ)**، تحقيق: د. هاشم الطعان، ط وزارة الثقافة والأعلام، بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

ـ **كتاب ذات الشفاء في سيرة النبي ثم الخلفاء**: لابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، مط الولاية، بغداد ١٣٣١هـ.

ـ **الذخائر والتحف**: للقاضي الرشيد بن الزبير (ت خلال القرن ٥هـ)، تحقيق: د. محمد حميد الله، ط الكويت ١٩٥٩.

ـ **الذخيرة في محاسن الجزيرة**: لأبي الحسن، علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ـ **ذيل الأمالي والنوادر**: لأبي علي القالي، اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت٣٥٦هـ)، ط المكتب التجاري، بيروت.

ـ **رجوع به إيران در زمان شا سانيان**: كريستنسن. أ. ترجمة: ياسمي، ط٢ طهران.

ـ **رحلة ابن بطوطة**: لابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ)، ط دار صادر، دار بيروت ١٩٦٤.

ـ **رحلة ابن جبير**: لأبي الحسين، محمد بن أحمد بن جبير الكناني، الأندلسي، الشاطبي، البلنسي (ت٦١٤هـ)، ط دار صادر، دار بيروت ١٩٦٤.

ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**: لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت٩٠٠هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط دار القلم، بيروت ١٩٧٥.

ـ **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**: لجمال الدين بن نباتة المصري (ت٧٦٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مط المدني، القاهرة ١٩٦٤.

ـ **سمط اللآلي، ويحتوي على النصف الأول من اللآلي في شرح أمالي القالي**: لأبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني ـ القاهرة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

ـ **سير أعلام النبلاء**: لمحمد بن أحمد شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ج١، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦. وج٣، تحقيق: د. محمد أسعد طلس، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢.

ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لأبي الفلاح، عبد الحي بن عماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، المكتب التجاري، بيروت.

wadod.org

ـ **شرح نهج البلاغة**: لعبد الحميد بن أبي الحديد المدائني (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠.

ـ **شعر عمرو بن شأس الأسدي (ت نحو ٢٠هـ)**: تحقيق: د. يحيى الجبوري، مط الآداب، النجف ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

ـ **الشعر والشعراء**: لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦.

ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: لأحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ)، ط دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٨.

ـ **كتاب صورة الأرض**: لابن حوقل، أبي القاسم النصيبي (ت بعد ٣٦٧هـ)، ط دار الحياة، بيروت [دت].

ـ **كتاب الطبقات**: لأبي عمرو، خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ)، تحقيق: سهيل زكار، ط دمشق ١٩٦٦.

ـ **طبقات فحول الشعراء**: لمحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط دار المعارف، القاهرة.

ـ **الطبقات الكبرى**: لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ)، ط دار صادر، بيروت [دت].

ـ **طعيريزات أو أطلال طيزناباذ**: لإبراهيم حلمي، مجلة لغة العرب البغدادية، السنة ٢/ ١٩١٣، ص ٣٢١ ـ ٣٢٦، ٣٧٦ ـ ٣٨١.

ـ **العبر في خبر من غبر**: لمحمد بن أحمد شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط الكويت ١٩٦٠.

ـ **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**: لعبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٦.

ـ **العقد الفريد**: لابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ)، شرح وضبط وتحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ط القاهرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

ـ **الفتوح**: لأحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو ٣١٤هـ). تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط حيدرآباد، الدكن ١٩٦٨.

ـ **فتوح البلدان**: لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧. وط مطبعة البيان العربي، القاهرة [دت].

ـ **فتوح الشام**: لمحمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)، ط دار الجيل، بيروت [دت]

ـ **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**: لابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ) ط دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

wadod.org

ـ **الفرات الأوسط، رحلة وصفية ودراسات تأريخية**: ألوا موسيل، ترجمة: د. صدقي حمدي وعبد المطلب عبد الرحمن داود، مراجعة: د. صالح أحمد العلي ود. علي محمد المياح، ط المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

ـ **القاموس المحيط**: للفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، ط١، مط الحسينية، القاهرة ١٣٣٠هـ.

ـ **الكامل في التأريخ**: لابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ)، ط دار صادر، بيروت ١٩٦٥.

ـ **اللباب في تهذيب الأنساب**: لابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ)، ط دار صادر، بيروت [دت].

ـ **لسان العرب**: لابن منظور، جمال الدين بن محمد (ت٧١١هـ)، ط بولاق، ١٣٠٢ ـ ١٣٠٧هـ.

ـ **لغة نامه**: علي أكبر دهخدا، مط مجلس شوراي ملي، إيران ١٣٣٤هـ. شمسي، منشورات جامعة طهران، كلية الآداب، مؤسسة لغة نامه.

ـ **المختصر في أخبار البشر**: لأبي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت٧٣٢هـ)، ط المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة [دت].

ـ **مختصر كتاب البلدان**: لابن الفقيه الهمذاني، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: م.ج. دي غوية، ط ليدن ١٨٨٥.

ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**: لعبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ). ط حيدرآباد، الدكن.

ـ **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**: لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤.

ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: للمسعودي، أبي الحسن، علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، مط السعادة، بمصر ١٩٦٤.

ـ **مسالك الأبصار في الممالك والأقطار**: لابن فضل الله العمري، ج١، ط مصر ١٩٢٤.

ـ **المسالك والممالك**: لإبراهيم بن محمد الأصطخري، تحقيق: م.ج. ديجوج، ط ١٩٢٧.

ـ **المسالك والممالك**: لابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت حدود ٢٨٠هـ)، تحقيق: م.ج. دي غوية، ليدن ١٨٨٩.

ـ **المشترك وضعاً والمفترق صقعاً**: لياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: فرديناند فستنفلد، ط غوتنغن ١٨٤٦.

ـ **المعارف**: لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، مط دار الكتب، القاهرة ١٩٦٠.

wadod.org

ـ **معجم البلدان**: لياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، ط دار صادر، بيروت ١٩٧٧.

ـ **معجم الشعراء**: للمرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

ـ **معجم ما استعجم**: لأبي عبيد البكري (ت٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ط القاهرة ١٩٤٥.

ـ **كتاب المعرفة والتأريخ**: ليعقوب بن سفيان البسوي (ت٢٧٧هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مط الإرشاد، بغداد ١٩٧٤.

ـ **من ذي قار إلى القادسية**: لصالح مهدي عماش، مط الجمهورية، بغداد ١٩٧٣.

ـ **المنمق في أخبار قريش**: لمحمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)، تحقيق: خورشيد أحمد فارق. ط حيدرآباد، الدكن، ١٩٦٤.

ـ **المؤتلف والمختلف**: للآمدي، أبي القاسم الحسن بن بشر (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ـ **ميزان الاعتدال**: لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥.

ـ **ناسخ التواريخ**: مرزا تقي خان، لسان الملك مستوفي، ج٢ ط حجري، إيران ١٣٣١، هجـ ـ شمسي.

ـ **نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة**: لقدامة بن جعفر البغدادي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: م. ج. غوية. ط ليدن ١٨٨٩.

ـ **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**: لشيخ الربوة محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت٧٢٧هـ)، تحقيق: أ. مهرن، ط ليبزيغ ١٩٢٣.

ـ **كتاب نسب قريش**: للمصعب بن عبد الله الزبيري (ت٢٣٦هـ)، تحقيق: أ. ليڤي. بروڤنسال، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.

ـ **نهاية الإرب في فنون الأدب**: لأحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة ١٩٧٥.

ـ **وفيات الأعيان**: لأحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت ١٩٦٩.

ـ **المورد**، المجلة البغدادية، عدد خاص (**القادسية في آثار الأقدمين**)، مج ١٠/ ١٩٨١، ع١، ص١ ـ ٢٨٢.